تفسير سورة التكاثر
دراسة تحليلية

إعداد الدكتـــور

ربيع يوسف شحاته الجهمي

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، قال الله تعالى عنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١،٤٢]. فهو أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وقد أمرنا الله تعالى بتدبره حق التدبر فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، ونعى على الذين لا يتدبرون آياته فقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

وامتثالا لهذا الأمر الإلهي اجتهد العلماء في كل عصر ومصر في استنباط معاني القرآن الكريم وأحكامه وعلومه وأسراره، فقدموا لنا ثروة هائلة من المؤلفات، عُدِمَ نظيرها أو شبيهها، وعلى رأس هذه المؤلفات: مؤلفاتهم في التفسير.

ومن المعلوم أن العلوم إنما تشرف بشرف موضوعاتها، ولهذا فإن علم التفسير هو أشرف العلوم قدرا، وأعلاها منزلة، كيف لا وموضوعه كتاب الله عز وجل.

وقد سألت الله تعالى راجيا أن يجعلني من خدام كتابه، المتدبرين آياته، فوفقني سبحانه لاختيار سورة (التكاثر)، لأعيش في رحابها، وأنهل من رياضها، تلاوة وفهما وتفسيرا؛ فقد تضمنت هذه السورة الكريمة ـ على قصرها ـ الكثير من الهدايات والمعاني.

إنها في مجملها وعيد شديد لأولئك الذين أعماهم حطام الدنيا، فماتت بصائرهم حين ظنوا أن الفوز في كثرة المتاع، فتكالبوا على جمعه، وتركوا طاعة ربهم.

إنها تبين مصيبة هؤلاء المكاثرين في شدة إصرارهم على التلاهي بالدنيا عن طاعة الله تعالى، حتى صار ذلك طبعاً لهم، ففاجأهم الموت، ونقلوا على غير عدة واستعداد إلى مقابرهم، قصرت أطماعهم الفارغة أن تستوعبها أعمارهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا في اثْنَتَيْنِ في حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ)(١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لو كان لابن آدَمَ وَادِيَانِ من مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا ولا يَمْلَأُ جَوْفَ بن آدَمَ إلا التُّرَابُ وَيَتُوبُ الله على من تَابَ)(٢). وفي خضم هذا التكالب على حطام الدنيا نسي أولئك المتكاثرون أنهم واقفون بين يدي الله تعالى، ومسئولون عن القليل والكثير والفتيل والقطمير.....

ففي هذه الرحاب نحيا ونعيش مع هذه السورة الكريمة، لننهل من معانيها ونقتبس من هداياتها.

وقد أسميت هذا البحث المتواضع: (تفسير سورة التكاثر. دراسة تحليلية).

وجاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية البحث، وخطتي، ومنهجي فيه.

المبحث الأول: مقدمات بين يدي السورة الكريمة، وفيها:

أولاً: أسماء السورة الكريمة.

ثانياً: عدد آي السورة وكلمها وحروفها.

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: العمل الذي يبتغي به وجه الله: ٥/٢٣٦٠، ح(٦٠٥٧).

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال: ٥/٢٣٦٤، ح(٦٠٧٢).

ثالثاً: الترتيب النزولي والمصحفي للسورة الكريمة.

رابعاً: زمان نزول السورة الكريمة.

خامساً: الكلام في المحكم والناسخ والمنسوخ في السورة.

سادساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها وبين أولها وآخرها.

سابعاً: ما ورد في فضلها.

ثامناً: مقاصد السورة والوحدة الموضوعية فيها.

المبحث الثاني: التفسير التحليلي للسورة الكريمة.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع. وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سرت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، وراعيت أثناء ذلك ما يأتي:

١ـ تفسير الآيات تفسيرا تحليليا مع مراعاة ذكر بعض الوجوه البلاغية والدقائق المتعلقة بتفسير الآيات.

٢ـ التوفيق بين الآراء ما أمكن ذلك.

٢- الترجيح بين الآراء، والاختيار منها إن احتيج إلى ذلك، بناء على الحجة والبرهان.

٣ـ توثيق النقول، والتعليق عليها عند الحاجة لذلك.

٤ـ عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها.

٥ـ تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها، وكذا تخريج الآثار.

٦ـ توثيق الأبيات الشعرية، وعزوها إلى قائليها.

٧ـ ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

وقد اجتهدت في هذا العمل قدر طاقتي، ونيتي حسنة، مبتغيا الأجر والمثوبة من الله تعالى، فما كان فيه من توفيق فمن الله تعالى وحده، وما كان فيه من زلل فمن نفسي، وحسبي أنني اجتهدت، والمجتهد مأجور على الحالين، أخطأ

أو أصاب، فأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وذخرا لي يوم الدين. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة هود: ٨٨]. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور: ربيع يوسف شحاته

الجهمي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالإسكندرية

جامعة الأزهر

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة

وفيـــه:

أولاً: أسماء السورة الكريمة.

ثانياً: عدد آي السورة وكلماتها وحروفها.

ثالثاً: الترتيب النزولي والمصحفي للسورة الكريمة.

رابعاً: زمان نزول السورة الكريمة.

خامساً: الكلام في المحكم والناسخ والمنسوخ في السورة.

سادساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها وبين أولها وآخرها.

سابعاً: ما ورد في فضلها.

ثامناً: مقاصد السورة والوحدة الموضوعية فيها.

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة

أذكر في هذا المبحث إن شاء الله تعالى تمهيدا بين يدي تفسير هذه السورة الكريمة، أتناول فيه قضايا هامة لا يستغنى عنها في التفسير، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: أسماء السورة الكريمة:

اختلف في أسماء السور هل هي توقيفية أم اجتهادية[١]؟ لكن المختار إن شاء الله تعالى أنها توقيفية، وهو ما أشار إليه الإمام الزركشي حيث قال: "وينبغي البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضى اشتقاق أسمائها، وهو بعيد"[٢].

وجزم به الإمام السيوطي حيث قال: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك"[٣].

**** وقد ورد في كتب السنة النبوية وكتب التفسير أربعة أسماء لهذه السورة الكريمة:**

الأول: سورة (ألهاكم التكاثر):

وقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم؛ أخرج الحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟!**) قالوا: ومن يستطيع ذلك. قال: (**أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾**)[٤].

---

(١) الأسماء التي ورد ذكرها في المصحف أسماء توقيفية أما الأسماء التي وردت في كتب التفسير فهي أسماء اجتهادية بحسب ما لاح للبعض من موضوع السورة.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٢٧٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ١/١٤٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك: ذكر فضائل أي وسور متفرقة: ١/٧٥٥، ح(٢٠٨١) وقال: "رواة هذا الحديث كلهم ثقات وعقبة هذا غير مشهور" وسكت عنه الذهبي. والبيهقي في الشعب: ذكر (ألهاكم التكاثر): ٢/٤٩٨، ح(٢٥١٨).

وورد أيضا في كلام علي رضي الله عنه: أخرج أحمد والطبراني عن علي رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بتسع سور في ثلاث ركعات: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ و ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾، و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ في ركعة، وفي الثانية: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ و ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ و ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾، وفي الثالثة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ و ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾"[1].

وورد أيضا في كلام ابن عباس رضي الله عنهما: قال السيوطي: "أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بمكة سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾"[2].

وترجم لها بهذا الاسم: الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير[3].

ولعل وجه التسمية بهذا الاسم: أنه من باب تسمية السورة بفاتحتها.

الثاني: سورة التكاثر:

قال الطاهر بن عاشور: "سميت في معظم المصاحف ومعظم التفاسير[4]: (سورة التكاثر)، وكذلك عنونها الترمذي في جامعه[5]، وهي كذلك معنونة في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٨٩/١، ح(٦٧٨)، وقال محققه شعيب الأرناؤوط: "إسناده ضعيف"، وأبو يعلى في مسنده: ٣٥٦/١، ح(٤٦٠)، وقال محققه حسين سليم أسد: "إسناده ضعيف"، والطبراني في الصغير: ٢٧٨/١، ح(٤٥٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٩٠/١، ح(١٥٩٤).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦٠٩/٨، ونسبه لابن مردويه.

(٣) المستدرك: كتاب التفسير: ٥٨٢/٢.

(٤) يراجع: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣٤٥٩/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٨/٣، والكشف والبيان للثعلبي: ٢٧٦/١٠، النكت والعيون للماوردي: ٣٣٠/٦، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢٧٥/٦، ومعالم التنزيل للبغوي: ٥١٥/٤، والكشاف للزمخشري: ٧٩٧/٤، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٥١٨/٥، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧٤/٣٢، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٤٨٣/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦٨/٢٠، وأنوار التنزيل للبيضاوي: ٥٢٢/٥، ومدارك التنزيل للنسفي: ٥٣/٤، ولباب التأويل للخازن: ٢٨٥/٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ٥٠٥/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٧٢/٤، والجواهر الحسان للثعالبي: ٤٣٨/١٠، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٤٧٥/٢٠، وتفسير الجلالين: ٨٢٠/١، والدر المنثور للسيوطي: ٦٠٩/٨، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ١٩٥/٩، وفتح القدير للشوكاني: ٤٨٧/٥، وروح المعاني للألوسي: ٢٢٣/٣٠، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٥١٧/٣٠. وغيرها.

(٥) الجامع الكبير للترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التكاثر: ١٩٥/١١.

بعض المصاحف العتيقة بالقيروان"[١].

ولعل وجه التسمية بهذا الاسم: ورود لفظ التكاثر في أول آية منها، ودوران معناها حول التكاثر الملهي عن طاعة الله تعالى.

الثالث: سورة (ألهاكم):

وبهذا الاسم ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه[٢]، وبه ذكرها بعض المفسرين وعلماء القراءات[٣]. وقال الطاهر بن عاشور: "وسميت في بعض المصاحف (سورة ألهاكم)"[٤].

ولعل وجه التسمية بهذا الاسم: أنه أيضا من باب تسمية السورة بفاتحتها.

الرابع: سورة المقبرة: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال[٥]: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله تعالى عليه وسلم يسمونها: المقبرة"[٦]. وقد نقل الآلوسي ذلك الأثر، ولم يذكر لهذا الاسم تعليلا[٧].

ولعل وجه التسمية به: ورود لفظ المقابر في هذه السورة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾، فسميت بمفردها (المقبرة).

---

(١) التحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة (ألهاكم): ٤/ ١٨٩٨.

(٣) مثل: الطبري في جامع البيان: ٥٧٧/٢٤، والعز بن عبد السلام في تفسيره: ٤٨٣/٣، والبقاعي في مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور: ٢٤١/٣، وأبي عمرو الداني في التيسير في القراءات السبع: ص١٤١، وفي البيان في عد آي القرآن: ص٢٨٦، والسخاوي في جمال القراء: ١/ ٣٨.

(٤) التحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠.

(٥) هو: سعيد بن أبي هلال الليثي، مولاهم أبو العلاء المصري، قيل: مدني الأصل، وقال ابن يونس: بل نشأ بها، قال ابن حجر: صدوق لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفا إلا أن الباجي حكى عن أحمد أنه اختلط، توفي سنة ١٤٩هـ. (تهذيب التهذيب: ٨٣/٤، وتقريب التهذيب: ٢٤٢/١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٤٤٥/١٢.

(٧) روح المعاني: ٢٢٣/٣٠.

قلت: تسمية هذه السورة الكريمة بـ (سورة التكاثر) هو الاسم المكتوب في المصاحف، المشهور عند القراء والمفسرين، ولا يمنع أن يكون لها أكثر من اسم، كما نص عليه السيوطي؛ حيث قال: "قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر، من ذلك: الفاتحة، وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسما، وذلك يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى"[١].

******

ثانياً: عدد آي السورة وكلمها وحروفها:

أما آياتها: فثماني آيات اتفاقا، وأما كلمها: فثمان وعشرون كلمة، وأما حروفها: فمائة وعشرون حرفا، ورؤوس الآي: ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ﴿ٱلْمَقَابِرَ﴾، ﴿تَعْلَمُونَ﴾، ﴿تَعْلَمُونَ﴾، ﴿ٱلْيَقِينِ﴾، ﴿لَتَرَوُنَّ﴾، ﴿ٱلْيَقِينِ﴾، ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾"[٢].

****

ثالثاً: الترتيب النزولي والمصحفي للسورة الكريمة:

أما ترتيبها النزولي: ففيه خلاف مبني على الخلاف في كونها مكية أو مدنية، على ما سيأتي بيانه، فعلى القول بأنها مكية: هي الخامسة عشر في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الكوثر وقبل سورة الماعون[٣]. وعلى القول بأنها مدنية: لم يذكر من ذهبوا إلى ذلك ترتيب نزولها[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١٤٨/١.

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني: ص٢٨٦، وسعادة الدارين في بيان وعد آي معجز الثقلين لمحمد بن خلف الحسيني: ص٨٨.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٣٧/١، والبيان في عد آي القرآن: ص ١٣٥. والناسخ والمنسوخ للنحاس: ص٧٧٥.

(٤) قال بمدنيتها: ابن العربي في أحكام القرآن: ٤/ ٤٤٢، والسيوطي في الإتقان: ٤٦/١، والألوسي في روح المعاني: ٢٢٣/٣٠، ولم يذكروا ترتيب نزولها.

وأما ترتيبها المصحفي: فهي السورة الثانية بعد المائة (١٠٢) في ترتيب المصحف الشريف، فقد سبقها من سور القرآن الكريم مائة وواحدة (١٠١) سورة، تبدأ بفاتحة الكتاب، وتنتهي بسورة (القارعة)، وبقي بعدها من سور القرآن الكريم اثنتا عشرة سورة، تبدأ بسورة (العصر)، وتنتهي بسورة (الناس).

****

رابعاً: زمان نزول السورة الكريمة:

سورة التكاثر من السور المختلف في كونها مكية أو مدنية[١][٢].

---

(١) يراجع: الإتقان في علوم القرآن: ٤٦/١.

(٢) وللعلماء في بيان المراد بالمكي والمدني ثلاث اتجاهات:

الأول: المكي ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني: ما كان خطاباً لأهل المدينة وعلى هذا فما كان الخطاب فيه بـ (يا أيها الناس) يكون مكياً، وما كان الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا) يكون مدنياً، وعللوا ذلك بقولهم: لما كان الكفر غالباً على أهل مكة، كان الأنسب أن يُخاطبوا بعبارة (يا أيها الناس)، ولما كان الإيمان غالباً على أهل المدينة كان الأنسب أن يخاطبوا بعبارة (يا أيها الذين آمنوا).

كما أنهم اعتبروا (يا بني آدم) ملحقة بـ (يا أيها الناس) في دلالتها على المكي.

وقد روعي في هذا الاصطلاح: المخاطبون، ولكنه غير جامع ولا مانع، فهناك آيات كثيرة لم تصدر بهذين التعبيرين مثل قوله تعالى: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله..) (التحريم: ١).

الثاني: المكي: ما نزل بمكة، ولو بعد الهجرة، والمدني: ما نزل بالمدينة. وضواحي مكة لاحقة بها مثل عرفات ومنى والحديبية، كما أن ضواحي المدينة مثل بدر، وأحد لاحقة بها. وقد روعي في هذا الاصطلاح : مكان النزول. لكنه غير جامع ولا مانع ـ أيضاً ـ إذ لا يندرج تحته ما نزل في غير مكة والمدينة وضواحيهما نحو قوله تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبل من رسلنا) (الزخرف: ٤٥).

الثالث: المكي : ما نزل قبل الهجرة النبوية ولو كان نزوله بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة إن كان نزوله بغير المدينة، وهو اصطلاح جامع مانع، فهو شامل لجميع آيات التنزيل، ولا يتطرق إليه القصور، وذلك لأنه قائم على الأساس التاريخي، ومن المعلوم بداهة . أن مدة التنزيل كلها تنقسم إلى قسمين لا ثالث لهما: قبل الهجرة وبعده، بغض النظر عن تعدد الأماكن والبقاع.

الإتقان في علوم القرآن مصدر سابق، ومناهل العرفان ١٨٧/١، وأنوار البيان في علوم القرآن للدكتور زكي محمد أبو سريع ١٥٨/١ وما بعدها ط دار الطباعة المحمدية الطبعة الثانية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

فهي مكية: في قول جمهور المفسرين[١]. قال ابن عطية: "مكية لا أعلم خلافا فيها". وقال القرطبي: "مكية في قول الجميع، وروي البخاري أنها مدنية".

ومدنية: في قول بعض المفسرين[٢].

* **سبب الخلاف في ذلك:** سبب الخلاف في ذلك ما روي في سبب نزولها، فاحتج كل فريق بما ترجح لديه.

(١) احتج القائلون بمكيتها:

ـ بما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بمكة سورة (ألهاكم التكاثر)[٣].

ـ وبما روي عن ابن عباس ومقاتل والكلبي: أن بني عبد مناف وبني سهم من قريش تفاخروا، فتعادوا السادة والأشراف من أيهم أكثر عددا، فكثَّر بنو عبد مناف بني سهم، ثم قالوا: نعد موتانا، حتى زاروا القبور فعدوا القبور، فكثَّرهم بنو سهم بثلاثة أبيات؛ لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية[٤].

---

(١) يراجع: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٨٨/٣، والكشف والبيان للثعلبي: ٢٧٦/١٠، وتفسير القرآن للسمعاني: ٢٧٥/٦، والبيان في عد آي القرآن للداني: ص ١٣٥. والناسخ والمنسوخ للنحاس: ص٧٧٥، ومعالم التنزيل للبغوي: ٥١٥/٤، والكشاف للزمخشري: ٧٩٧/٤، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٥١٨/٥، والتفسير الكبير للرازي: ٢٧٤/٣٢، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام: ٤٨٣/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦٨/٢٠، ومدارك التنزيل للنسفي: ٥٣/٤، ولباب التأويل للخازن: ٢٨٥/٧، والبحر المحيط لأبي حيان: ٥٠٥/٨، والسراج المنير للخطيب الشربيني: ٦٧٣/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٧٢/٤، والجواهر الحسان للثعالبي: ٤٣٨/١٠، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل: ٤٧٥/٢٠، وتفسير الجلالين: ٨٢٠/١، والدر المنثور: ٦٠٩/٨، والإتقان: ٣٧/١، كلاهما للسيوطي، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ١٩٥/٩، ومصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور للبقاعي: ٢٤١/٣، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٥١٧/٣٠. وغيرها.

(٢) قال بمدنيتها: ابن العربي في أحكام القرآن: ٤/ ٤٤٢، والسيوطي في الإتقان: ٤٦/١، والألوسي في روح المعاني: ٢٢٣/٣٠.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٠٩/٨ لابن مردويه.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٣٠٥، ومعالم التنزيل: ٤/ ٥٢٠، والمحرر الوجيز: ٥١٨/٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٨/٢٠.

(٢) واحتج القائلون بمدنيتها:

ـ بما أخرجه البخاري: عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ. وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ}، قَالَ ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُبَيٍّ قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[1].قال ابن العربي: "قال المفسرون: إنها مكية، وروى البخاري أنها مدنية..." وذكر حديث البخاري السابق، ثم قال: "وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير، فَجَهِلُوا وَجَهَّلُوا، والحمد لله على المعرفة"[2].

وقال السيوطي[3]: "سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ الأشهر أنها مكية، ويدل لكونها مدنية وهو المختار:

ـ ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة[4] قال: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر، ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل[5].

ـ وما أخرجه أيضا عن قتادة أنها نزلت في اليهود[6].

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال: ٥/ ٢٣٦٥ ح(٦٠٧٥).

(٢) أحكام القرآن: ٤/ ٤٤٢.

(٣) الإتقان: ١/ ٤٦.

(٤) هو التابعي: عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، قاضيها، ثقة، من الطبقة الثالثة، مات سنة خمس ومائة وقيل بل خمس عشرة وله مائة سنة. (تهذيب التهذيب: ٥/ ١٣٧، وتقريب التهذيب: ص٢٩٧).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٤٥٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٤٦٠، وذكره الواحدي في أسباب النزول: ص٣٠٥.

- وما أخرجه البخاري عن أبي بن كعب قال: (كنا نرى هذا من القرآن، يعني: (لو كان لابن آدم واد من ذهب)، حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[1].

- وما أخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: (ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت)[2]. وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية[3]" اهـ[4].

وقد نقل الآلوسي كلام السيوطي وأدلته هذه ثم قال: "ولقوة الأدلة على مدنيتها قال بعض الأجلة إنه الحق"[5].

الترجيح:

أرى والله تعالى أعلم: أن القول بمكية هذه السورة المباركة - وهو قول جمهور المفسرين - أصح من القول بمدنيتها؛ لقوة حجته.

قال الطاهر بن عاشور تعقيبا على حديث أبي بن كعب السابق: "يريد المستدل بهذا الحديث أن أبي بن كعب أنصاري وأن ظاهر قوله: حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، أنها نزلت بعد أن كانوا يعدون: (لو أن لابن آدم واديا من ذهب...) الخ من القرآن. وليس في كلام أبي دليل ناهض؛ إذ يجوز أن يريد بضمير كنا (المسلمين)، أي: كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر وبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن ما كانوا يقولونه ليس

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التكاثر: ٥/ ٤٤٧، ح(٣٣٥٥)، وقال: هذا حديث غريب.

(٣) يشير السيوطي إلى حديث البخاري: في كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر: ١/ ٤٦٢، ح(١٣٠٦): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ).

(٤) الإتقان: ١/ ٤٦.

(٥) روح المعاني: ٣٠/ ٢٢٣.

بقرآن"[١]. ثم قال في الصفحة التالية: "والذي يظهر من معاني السورة وغلظة وعيدها أنها مكية"[٢].

قلت: لا ريب أن تحليل الطاهر ابن عاشور تحليل دقيق وله وجاهته، ويرجح كون هذه السورة المباركة مكية.

•• ومع هذا لا يمنع أن تكون السورة الكريمة مما تكرر نزوله، فنزلت مرتين، مرة قبل الهجرة، ومرة بعدها.

وهذا واقع في بعض السور والآيات، كما نص عليه جماعة من العلماء؛ وقرروا أن لهذا التكرار حكم عظيمة وأسرار بليغة.

قال السيوطي: "صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله، قال ابن الحصار[٣]: قد يتكرر نزول الآية تذكيرا وموعظة وذكر من ذلك خواتيم سورة النحل وأول سورة الروم. وذكر ابن كثير منه (آية الروح) وذكر قوم منه (الفاتحة)"[٤].

وقال الزركشي: "قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه، ثم ذكر منه آية الروح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤]... قال: فإن سورة (الإسراء) و(هود) مكيتان، وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا بالمدينة؛ ولهذا أشكل ذلك على بعضهم، ولا إشكال؛ لأنها نزلت مرة بعد مرة. قال: وكذلك ما ورد

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥١٧.

(٢) المصدر السابق: ٣٠/ ٥١٨.

(٣) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشير مولى بني فطيس، أبو المطرف، القاضي، المعروف بابن الحصار، كان من أجل علماء وقته، صحب ابن ذكوان قاضي الجماعة وكتب له، وولي الشورى، ثم ولي القضاء، وكان عالما دينا فاضلا متفننا في العلوم. توفي سنة اثنين وعشرين وأربعمائة. (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون: ١/١٤٩).

(٤) الإتقان: ١/١٠٤.

في سورة (الإخلاص) من أنها جواب للمشركين بمكة وجواب لأهل الكتاب بالمدينة".

قال: "والحكمة في هذا كله: أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فيوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الآية بعينها تذكيرا لهم بها وبأنها تتضمن هذه".

ثم قال: "وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب، لا سيما وقد عُرِف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: (نزلت هذه الآية في كذا) فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها"[1].

ومما يدخل في هذا الباب أيضا ما ذكره السيوطي قائلا: "قد يجعل من ذلك الأحرف التي تقرأ على وجهين فأكثر، ويدل له ما أخرجه مسلم من حديث أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يا أُبَيُّ أُرسِلَ إلي أنْ اقْرَأ الْقُرْآنَ على حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إليه أنْ هَوِّنْ على أُمَّتِي، فَرَدَّ إلي الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ على حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إليه أنْ هَوِّنْ على أُمَّتِي، فَرَدَّ إلي الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ)[2]. فهذا الحديث يدل على أن القرآن لم ينزل من أول وهلة، بل مرة بعد أخرى. وفي (جمال القراء) للسخاوي بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين قال: إن قيل فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت في الثانية ببقية وجوهها، نحو (ملك) و(مالك) و(السراط) و(الصراط) ونحو ذلك[3].

وبهذا يمكن الجمع بين القولين، القول بمدنية هذه السورة الكريمة، والقول بمكيتها. والله تعالى أعلم.

******

(١) البرهان: ١/٣٠، ٣١ بتلخيص.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف: ١/٥٦١ ح(٨٢٠).

(٣) الإتقان: ١/١٠٥.

خامساً- الكلام في المحكم والناسخ والمنسوخ في السورة الكريمة:

أجمع العلماء على أن سورة التكاثر محكمة كلها، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ، نص على ذلك بعضهم كـ (هبة الله بن سلامة، وابن حزم، وابن البازري)، ولم يذكرها جمهورهم في عداد السور التي فيها ناسخ أو منسوخ ومنهم: (النحاس في الناسخ والمنسوخ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن، وفي المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ،) [1].

****

سادساً- مناسبة السورة الكريمة لما قبلها وما بعدها وبين أولها وآخرها:

لا ريب أن من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم تناسبه وتناسقه إلى حد أعجز الخلق أجمعين، وقام شاهدا على أن القرآن الكريم كلام الخالق سبحانه. قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]

وفي بيان هذا الوجه من الإعجاز يقول العلامة الزرقاني: "وبيان ذلك: أن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض، في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله، من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقا لأوله، وبدا أوله مواتيا لآخره.

---

(١) يراجع: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة المقرئ: ص٢٠٣،: والناسخ والمنسوخ لابن حزم: ص٦٧، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن البازري: ص٥٨، والناسخ والمنسوخ للنحاس: ص٧٧٥، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ص٢٥٠، والمصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي: ص٥٨.

اتسق للقرآن الكريم هذا التأليف المعجز، واستقام له هذا التناسق المدهش، على حين أنه لم يتنزَّل جملة واحدة، بل تنزَّل آحادا مفرقة تفرُّق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عاما... ولا ريب أن ذلك يستلزم في مجرى العادة التفكك والانحلال، ولا يدع مجالا للارتباط والاتصال بين نجوم هذا الكلام، ولكن القرآن الكريم قد خرق العادة في ذلك. نزل مفرقا منجما، ولكنه تم مترابطا محكما، وتفرقت نجومه تفرق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب، ولم يتكامل نزوله إلا بعد عشرين عاما، ولكن تكامل انسجامه بداية وختاما. وهذا من أعظم أسرار الإعجاز، وهو دليل ساطع على مصدر القرآن الكريم وأنه كلام الواحد القهار: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢][1].

وتتجلي هذه الحقيقة بوضوح في بيان المناسبة بين سورة التكاثر وبين ما سبقها وما تلاها من السور الكريمات وبين أولها وآخرها:

• أما المناسبة بينها وبين ما سبقها وما تلاها من السور:

فموضوع هذه السورة الكريمة متصل بموضوع السور السابقة واللاحقة وهو الحديث عن القيامة وأهوالها، وعما يشغل الناس عن الاستعداد لها.

فعن المناسبة بينها وبين ما سبقها قال الرازي: "إن نظرنا إلى السورة السابقة فالمعنى: ألهاكم التكاثر عن التدبر في أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت، فنسيتم القبر حتى زرتموه"[2].

وقال البقاعي: "لما أثبت الله تعالى في سورة القارعة أمر الساعة، وقسَّم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتتح هذه السورة بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكا لأنه ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ أي: أغفلكم - إلا النادر منكم -

(١) مناهل العرفان: ١/٤٤، ٤٥، بتلخيص.
(٢) التفسير الكبير: ٣٢/ ٧٤.

غفلة عظيمة عن الموت الذي هو وحده كاف في البعث على الزهد فكيف بما بعده. ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ وهو المباهاة والمفاخرة بكثرة الأعراض الفانية من متاع الدنيا: المال والجاه والبنين ونحوها مما هو شاغل عن الله تعالى..."[١].

وعن المناسبة بينها وبين ما سبقها وما تلاها قال السيوطي: "هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها، كأنه لما قال هناك: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٩] قيل: لم ذلك؟ فقال: لأنكم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فاشتغلتم بدنياكم، وملأتم موازينكم بالحطام، فخفت موازينكم بالآثام، ولهذا عقبها بسورة (العصر)، المشتملة على أن الإنسان في خُسر، بيان لخسارة تجارة الدنيا، وربح تجارة الآخرة، ولهذا عقبها بسورة (الهمزة)، المتوعد فيها من جمع مالاً وعدّده، بحسب أن ماله أخلده. فانظر إلى تلاحم هذه السور الأربع، وحسن اتساقها"[٢].

وقال أبو جعفر بن الزبير: "لما تقدم ذكر القارعة وعظيم أهوالها أعقب بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد لها وألهى عن ذكرها، وهو التكاثر بالعدد والقربات والأهلين؛ فقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾".

ولما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ وتضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان وحصر إدراكه في العاجل دون الآجل الذي فيه فوزه وفلاحه، وذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع أنه كان ظلوما جهولا، أخبر سبحانه أن ذلك شأن الإنسان بما هو إنسان فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾، فالقصور شأنه، والظلم طبعه، والجهل جبلته، فيحق أن يلهيه التكاثر، ولا يدخل الله عليه روح الإيمان، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ فهؤلاء الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله"[٣].

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: ٨/٥١٦، ونحوه قال النيسابوري في غرائب القرآن: ٦/ ٥٥٤.
(٢) تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي: ص١٥٧.
(٣) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور: ص٣٧٥، ٣٧٦.

* وأما المناسبة بين أول السورة الكريمة وآخرها:

فهناك أيضا مناسبة قوية بين أولها وبين ختامها، ففي أولها قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، والذي يلهي الإنسان ويتكاثر به إنما هو النعيم، وفي ختام السورة الكريمة أخبر الله تعالى أن العباد سيسألون عن هذا النعيم.

ومن ثم قال البقاعي: "فقد التحم آخرها بأولها على وجه هو من ألطف الخطاب، وأدق المسالك في النهي عما يجري إلى العذاب، لأن العاقل إذا علم أن بين يديه سؤالا عن كل ما يتلذذ به علم أنه يعوقه ذلك في زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال، فكان خوفه من مطلق السؤال مانعا له عن التنعم بالمباح، فكيف بالمكروه ثم كيف بالمحرم؟ فكيف إذا كان السؤال من ملك تذوب لهيبته الجبال؟ فكيف إذا كان السؤال على وجه العتاب؟ فكيف إذا جر إلى العذاب؟ فتأمل كلام خالقك ما ألطف إشاراته وأجل عباراته، في نذاراته وبشاراته" أ.هـ[1].

وهكذا تتجلى بوضوح مناسبة السورة الكريمة لما سبقها وما تلاها من سور كريمات، وبين أولها وآخرها، ويظهر للعيان التناسق المعجز والتناسب المحكم للقرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

****

سابعاً- ما ورد في فضلها:

من المعلوم أنه ما صح من أحاديث فضائل السور إلا القليل وأكثر هذه الأحاديث إما ضعيف أو موضوع. ولكن ذلك لا يضير في شيء؛ لأن فضائل الآيات والسور ثابتة لا محالة بثبوت فضل القرآن الكريم كله. ولكن هل في القرآن الكريم فاضل ومفضول؟

والجواب عن ذلك أنه قد اختلف الناس في ذلك) فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضل لبعضه

---

(١) نظم الدرر: ٨/ ٥٢٠.

على بعض؛ لأن الكل كلام الله، وكذلك أسماؤه تعالى لا تفاضل بينهما. وروى معناه عن مالك، قال يحيى بن يحيى بن كثير المالكي: تفضيل بعض القرآن خطأ، وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها، واحتجوا بأن الأفضل يشعر بنقص المفضول، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه.

وقال قوم: بالتفضيل لظواهر الأحاديث، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا، وقيل: بل يرجع لذات اللفظ، وأن ما تضمنه قوله تعالى: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) (البقرة: ١٦٣) وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاق من الدلالات على وحدانية وصفاته وليس موجوداً مثلاً في (تبت يدى أبي لهب) المسد: ١) وما كان مثلها إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها، لا من حيث الصفة، وهذا هو الحق.

وتوسط الشيخ عز الدين فقال : (كلام الله في الله أفضل من كلام الله في غيره وقال القاضي شمس الدين الخوبي: وكلام الله كله أبلغ من كلام المخلوقين، وهل يجوز أن يقال بعض كلامه أبلغ من بعض؟ جوزه بعضهم لقصور نظرهم، وينبغي أن يعلم أن مبنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أن هذا في موصفه له حسن ولطف. وذاك في موضعه له حسن ولطف، وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذاك في موضعه. فإن من قال : إن: (قل هو الله أحد) (الإخلاص: ١) أبلغ من (تبت يدا أبي لهب وتب) (المسد :١) يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب، وبين التوحيد والدعاء على الكافرين، وذلك غير صحيح، بل ينبغي أن يقال: (تبت يدا أبي لهب) دعاء عليه بالخسران، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه، وكذلك في (قل هو الله أحد) لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها، فالعالم إذا نظر إلى (تبت يدا أبي لهب وتب) في باب الدعاء بالخسران، ونظر إلى (قل هو الله أحد) في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول:

أحدهما أبلغ من الآخر، وهذا القيد يغفل عنه بعض من لا يكون عند علم البيان[١].

*** ولم يصح في فضل هذه السورة المباركة إلا حديث واحد:**

عن واثلةَ بنِ الأسقع أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: (أُعطيتُ مكانَ التوراةِ السبعَ الطُّوالَ... وفضّلتُ بالمفصّلِ[٢])[٣]. فهذا الحديث الشريف نص في فضيلة هذه السورة الكريمة؛ لأنها من المفصّل.

*** وروي في فضلها ثلاثة أحاديث أخر، اثنان ضعيفان، وواحد موضوع:**

الأول: ضعيف: روي عن علي رضي الله عنه قال: (كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوتِرُ بِتِسْعِ سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ، قَالَ أَسْوَدُ[٤]: يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ و﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ وفي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وَفِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾)[٥].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٦٧/٢ وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن ١١٨/٤.

(٢) يقسم العلماء القرآن الكريم بحسب سوره إلى أقسام أربعة: الطوال، والمئون، والمثاني، والمفصل. فالسبع الطوال: أولها البقرة وآخرها براءة لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة واحدة. والمئون: ما ولي السبع الطوال، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها. والمثاني: ما ولي المئين، وقد تسمى سور القرآن كلها مثاني، ومنه قوله تعالى: (كتابا متشابها مثاني)، وقوله تعالى: (ولقد آتيناك سبعا من المثاني). والمفصل: ما يلي المثاني من قصار السور، سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم، وآخره: (قل أعوذ برب الناس). وفي أوله اثنا عشر قولا، والصحيح عند أهل الأثر: أن أوله سورة (ق). [يراجع: البرهان في علوم القرآن: ٢٤٤/١، ٢٤٥، والإتقان في علوم القرآن: ١٧٣/١، ١٧٤].

(٣) الحديث: أخرجه أحمد في المسند: ١٠٧/٤، ح(١٧٠٢٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن". والبيهقي في السنن الصغرى: ٥٥٠/١، ح(١٠٠٥)، وفي شعب الإيمان: ٤٦٥/٢، ح(٢٤١٥).

(٤) هو التابعي الجليل: الأسود بن عامر الشامي، نزيل بغداد، يكنى أبا عبد الرحمن، ويلقب شاذان، ثقة من الطبقة التاسعة، مات في أول سنة ثمان ومائتين. يراجع: تهذيب التهذيب: ٢٩٧/١، وتقريب التهذيب: ص١١١.

(٥) الحديث: أخرجه بلفظه: أحمد في مسنده: ٨٩/١، ح(٦٧٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده ضعيف". وعبد بن حميد في مسنده: ص٥٢، ح(٦٨)، والبزار في مسنده: ٨٢/٣، ٨٣، وأبي يعلى في مسنده: ٣٥٦/١، ح(٤٦٠)، ومحمد بن نصر في مختصر قيام الليل (مرفوعا وموقوفا على علي رضي الله عنه): ص٢١٧، والطبراني في المعجم الأوسط: ٥٨/٢، ح(١٢٤١)، وفي المعجم الصغير: ٢٧٨/١، ح(٤٥٧). وأخرجه مختصرا ولم يسم السور: الترمذي في جامعه: كتاب أبواب الصلاة، أبواب الوتر: باب ما جاء في الوتر بثلاث: ٣٢٣/٢، ح(٤٦٠). جميعهم عن علي رضي الله عنه. قال الحافظ بن حجر في نتائج الأفكار (٤٩٩/١): "هذا حديث غريب" ورجح كونه موقوفا على علي رضي الله عنه.

والثاني: ضعيف: أخرج الحاكم والبيهقي في (الشعب) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله تعالى عليه وسلم: (ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم! قالوا ومن يستطيع ذلك؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾)[1].

والثالث: موضوع: روي عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ لم يحاسبه الله بالنعم التي أنعم بها عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية)[2].

وهذا جزء من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه الوارد في فضائل السور، وهو حديث موضوع بإجماع أهل الحديث.

وقد جمع ابن الجوزي طرقه وحكم عليها بالوضع، وروى بإسناده: عن ابن المبارك قوله: "أظن الزنادقة وضعته". وبإسناده أيضا عمن وضع هذا الحديث قوله: "لم يحدثني أحد، ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوهم إلى القرآن-". ونقل عن عبد الرحمن بن مهدي قوله: "قلت لميسرة بن عبد ربه (أحد رواة هذا الحديث) من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه"[3].

قال ابن الجوزي: "قد فرّق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما؛ لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي

---

(١) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٧٥٥، ح(٢٠١٨)، والبيهقي في الشعب: ٢/ ٤٩٨، ح(٢٥١٨)، وإسناده: ضعيف. قال الحاكم: "رواة هذا الحديث كلهم ثقات وعتبة هذا غير مشهور".

(٢) هذا جزء من حديث موضوع، يروى عن أبي بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور: أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال: ١٢٧/٧، والعقيلي في الضعفاء: ١٥٦/١، والزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: ٣٤٣/٤، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات: ١٧٣/١، ١٧٤، وابن القيم في المنار المنيف: ص١١٣، وفي نقد المنقول: ص١٠٢، وابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة: ١١٧/١، والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: ص٧٨. وذكره بعض المفسرين، ومنهم: الثعلبي، والواحدي، والزمخشري، ومن تبعهم.

(٣) يراجع: الموضوعات لابن الجوزي: ١٧٤/١.

داود[١] كيف فرّقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث مُحال".

ثم قال: "حديث فضائل السور مصنوع بلا شك، ونفس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استقد السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام الرسول صلى الله عليه وسلم". أهـ[٢].

وقال المناوي[٣]: "وأما الحديث عن أُبَيّ في فضائل السور سورة سورة فموضوع وضعه رجل من عبادان - قرية من قرى البصرة - واعترف بوضعه، كما هو معروف عند أهل الحديث"[٤].

وقال العجلوني[٥]: "فضيلة قراءة كل سورة، رووا ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مفترى وموضوع بإجماع أهل الحديث"[٦].

وقال الشوكاني: "حديث: (من قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كذا) فذكر فضل سورة إلى آخر القرآن، رواه العقيلي عن أبي بن كعب مرفوعا. قال ابن

---

(١) هو: الحافظ الثقة عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو بكر بن أبي داود، صاحب التصانيف، قال الخليلي: حافظ، إمام وقته، عالم، متفق عليه، احتج به من صنف الصحيح. مات سنة ست عشرة وثلاثمائة. يراجع: سير أعلام النبلاء ٢٢١/١٣ - ٢٣٧، وميزان الاعتدال ١١٣/٤، ولسان الميزان ٢٩٣/٣، ٢٩٦.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي: ١٧٤/١، ويراجع: تنزيه الشريعة المرفوعة للكناني: ٢٨٥/١.

(٣) هو: العلامة: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، كان من كبار العلماء. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه. توفي سنة ١٠٣١هـ، يراجع: الأعلام ٢٠٤/٦، ومعجم المؤلفين ١٦٦/٠١)

(٤) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي للحافظ المناوي: ١١٧/١.

(٥) هو: الإمام إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني، الشافعي، الشهير بالجراحي مؤرخ، محدث، مفسر، نحوي، توفي بدمشق سنة ١١٦٢هـ. يراجع: الأعلام: ٣٧٥/١، ومعجم المؤلفين: ٧٩٧/٢.

(٦) كشف الخفاء ومزيل الإلباس للإمام العجلوني: ٥٦٤/٢.

المبارك: "أظن الزنادقة وضعته"[١]. والآفة من بزيع[٢]، وروي بإسناد آخر موضوع أيضا، رواه ابن أبي داود، والآفة من مخلد بن عبد الواحد[٣]، ولهذا الحديث طرق كلها باطلة موضوعة، وذكره الخليلي[٤] في الإرشاد عن ابن عباس مرفوعا، وفي إسناده نوح ابن أبي مريم[٥]، وقد أقر بأنه الواضع له، فقبح الله الكذابين، ولا خلاف بين الحفاظ في أن حديث أُبَيّ بن كعب هذا موضوع، وقد اغتر به جماعة من المفسرين، فذكروه في تفاسيرهم". اهـ[٦].

******

(١) الضعفاء للعقيلي: ١٥٦/١، وتخريج الأحاديث والآثار: ٣٤٣/٤، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي: ٢٦١/١، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص٧٦، والموضوعات لابن الجوزي: ١٧٤/١، واللآلىء المصنوعة السيوطي: ٢٠٧/١، وتنزيه الشريعة المرفوعة للكناني: ٢٨٥/١.

(٢) هو التابعي: بزيع بن حسان، أبو الخليل البصري، يروي أباطيل. وقال ابن أبي حاتم: حديثه شبه الموضوع، قال: وقال أبي: هو ذاهب الحديث. وقال الدارقطني: متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه مناكير لا يتابعه عليها أحد.. يراجع: المجروحين لابن حبان: ١٩٨/١، ١٩٩، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي: ١٣٨/١.

(٣) هو التابعي: مخلد بن عبد الواحد، أبو الهذيل البصري، يروي عن علي بن زيد بن جدعان، قال الرازي: ضعيف الحديث. وقال ابن حبان: منكر الحديث جدا، يتفرد بمناكير لا تشبه حديث الثقات. وقال الأزدي: كذاب يضع الحديث. يراجع: المجروحين: ٤٣/٣، ٤٤، والضعفاء والمتروكين: ١١١/٣.

(٤) هو: الإمام الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني الخليلي القاضي، ثقة، حافظ، عارف بكثير من علل الحديث ورجاله، عالي الإسناد، كبير القدر. توفي سنة ست وأربعين وأربعمائة. يراجع: سير أعلام النبلاء ٦٦٦/١٧ - ٦٦٨، وتذكرة الحفاظ ١١٢٣/٣، ١١٢٤.

(٥) هو التابعي: نوح بن أبي مريم، أبو عصمة، واسم أبي مريم يزيد بن جعونة. قال أحمد: يروي مناكير. وقال يحيى: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه. وقال ابن حماد ومسلم بن الحجاج والرازي والدراقطني: متروك. وذكر الحاكم أن نوحا وضع حديث فضائل القرآن. يراجع: المجروحين: ٤٨/٣، ٤٩، والضعفاء والمتروكين: ١٦٧/٣.

(٦) الفوائد المجموعة للشوكاني: ٢٩٦/١.

ثامنا: مقاصد السورة الكريمة والوحدة الموضوعية فيها:

(١) مقاصد السورة الكريمة: ويمكن إجمالها فيما يأتي:

* ابتدأت السورة الكريمة بذم المنشغلين بالحياة الدنيا، المتكالبين على جمع حطامها الفاني، حتى تنقضي أعمارهم، ويقطع الموت عليهم متعتهم، قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

* ثم تناولت زجر الناس وإنذارهم وتخويفهم، على انشغالهم بالفانية عن الباقية، وتوعدتهم بمصير رهيب - تُرِك بيانه ليكون أقوى في الإنذار، ولتذهب النفس فيه كل مذهب -، وتكرر هذا الزجر والإنذار والتخويف لتأكيد الردع والإنذار، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾.

* وختمت السورة الكريمة بالإشارة إلى المصير الرهيب والأهوال الجسام التي تنتظر أولئك الذين انشغلوا بالفانية عن الباقية، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾.

(٢) الوحدة الموضوعية فيها:

يقصد بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية: بيان الإطار العام للسورة القرآنية، وذلك بإبراز ترابط معانيها وقضاياها ومقاصدها ترابطاً يظهر وحدتها، من أولها إلى آخرها.

ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالتدبر والإمعان والمعايشة الطويلة للسورة القرآنية، لتبدو السورة القرآنية في النهاية – مهما تعددت مقاصدها وموضوعاتها – وهي في قمة الترابط والإحكام.

يقول الدكتور دراز: "إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل

بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية»[١].

ويقول الإمام الشاطبي: "فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حُكْم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"[٢].

وبالنسبة لسورة التكاثر فالموضوع الرئيس الذي تدور حوله هو: (ذَمُّ وتحذيرُ وتوعدُ المنشغلين بالدنيا الفانية عن الآخرة الباقية).

قال الفيروزابادي: "معظم مقصود السّورة: ذمّ المُقْبِلين على الدّنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أنّ عاقبة الكلّ الموت والزّوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، والمذلّة والحساب والسّؤال"[٣].

ويشرح الشيخ سيد قطب ذلك بأسلوب أدبي فيقول: "هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق وكأنما هي صوت نذير قائم على شرف عال، يمد بصوته ويدوي بنبرته، يصيح بنُوَّم غافلين مخمورين سادرين، أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة، وحسهم مسحور.

إنها سورة تلقي في الحس ما تلقي بمعناها وإيقاعها. وتدع القلب مثقلا مشغولا بهم الآخرة عن سفساف الحياة الدنيا وصغائر اهتماماتها التي يهش لها الفارغون!

إنها تصور الحياة الدنيا كالومضة الخاطفة في الشريط الطويل. ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

وتنتهي ومضة الحياة الدنيا وتنطوي صفحتها الصغيرة. ثم يمتد الزمن بعد ذلك وتمتد الأثقال، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ

---

(١) النبأ العظيم: ص١٩٢.

(٢) الموافقات: ٤/ ٢٦٨.

(٣) بصائر ذوي التمييز: ١/٥٤٠. بتصرف يسير.

﴿الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾.

وما يقرأ الإنسان هذه السورة الكريمة، حتى يشعر بثقل ما على عاتقه من أعقاب هذه الحياة الوامضة التي يحياها على الأرض، ثم يحمل ما يحمل منها ويمضي به مثقلا في الطريق! ثم ينشىء يحاسب نفسه على الصغير والزهيد!!!»[1].

******

(١) في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب: ٦/٣٩٦٢، ٣٩٦٣. بتصرف يسير.

المبحث الثاني

التفسير التحليلي للسورة الكريمة

المبحث الثاني

التفسير التحليلي لسورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾

قوله تعالى:

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾

المفردات:

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ أي: شغلكم، قال امرؤ القيس:

..... ***** فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ[1].

قال الراغب: اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، يقال: لهوت بكذا ولهيت. قال تعالى: (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب)، ويقال: ألهاه كذا: أي شغله عما هو أهم إليه، قال تعالى: (ألهاكم التكاثر) وقوله تعالى: (لاهية قلوبهم)

---

(١) هذا عجز بيت من معلقة امرئ القيس وصدره: * فمثلكِ حُبْلى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعِ *. والمعنى: فربَّ امرأة حبلى قد أتيتها ليلًا وربَّ امرأة ذات رضيع أتيتها ليلًا فشغلتها عن ولدها الذي علقت عليه الرقية وقد أتى عليه حول كامل، أو قد حبلت أمه بغيره فهي ترضعه على حبلها. يراجع: شرح المعلقات السبع للزوزني: ص ٤٤.

أي ساهية مشتغلة بما لا يعنيها[١]. ويراد باللهو أيضا: الغفلة، والمعنى: جعلكم لاهين غافلين. ثم شاع في كل شاغل، وخصه العرف بالشاغل الذي يسر المرء، يقال: ألهاني فلان عن كذا: أي أنساني وشغلني[٢].

فاللهو: الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى، والاشتغال بالمتع العاجلة عن الدار الباقية، والميل عن الجد إلى الهزل. وبالجملة فكل باطل شغل عن الحق والخير وعما يعني ويهم فهو لهو.

﴿ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾: أي التباري في الكثرة في المال والجاه والمناقب وغير ذلك، والتباهي بها، بأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، وهؤلاء: نحن أكثر. يقال: تكاثر القوم تكاثرا: إذا تعادلوا مالهم من كثرة المناقب[٣].

وما أحسن ما قاله أبو مسلم[٤]: "التكاثر تفاعل من الكثرة. والتفاعل يقع على أحد وجوه ثلاثة: الأول: أن يكون بين اثنين فأكثر فيكون من باب المفاعلة. الثاني: أن يكون من فاعل واحد لكن على سبيل التكلف، تقول: تكارهت على كذا إذا فعلته وأنت كاره، وتحاملت على كذا، وتباعدت عن كذا، وتعاميت عن الأمر وتغافلت عنه، الثالث: أن يراد به مطلق الفعل، كما تقول: تباعدت عن الأمر أي بعدت عنه. ولفظ التكاثر في هذه الآية يحتمل الوجهين الأولين، فيحتمل التكاثر

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب: ص٤٥٥، والكشاف: ٤/ ٧٩٨، والتفسير الكبير: ٣٢/٧٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٦٨، واللباب: ٢٠/٤٧٥.

(٢) روح المعاني: ٣٠/٢٢٣.

(٣) الكشاف: ٤/ ٧٩٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٦٨، واللباب: ٢٠/٤٧٥. وروح المعاني: ٣٠/٢٢٣.

(٤) أبو مسلم: هو محمد بن على بن محمد بن الحسين بن مَهْزيزد، أبو مسلم الأصبهاني، الأديب المفسر النحوي، المعتزلي، توفى سنة ٤٥٩هـ. يراجع: طبقات المفسرين للسيوطي: ص ٨٥.

بمعنى المفاعلة؛ لأنه كم من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤]، ويحتمل تكلف الكثرة وتطلبها، فإن الحريص مثلا يتكلف جميع عمره تكثير ماله»[١].

﴿الْمَقَابِرَ﴾: جمع مقبَرة، ومقبُرة بفتح الباء وضمها، والقبور: جمع قبر، والقبر: مقر الميت وقبرت الميت أقبره وأقبره قبرا: أي: دفنته، وأقبرته: جعلت له مكانا يقبر فيه[٢].

القراءات:

قرأ العشرة: (ألهاكم) على الخبر. وقرأ ابن عباس وعائشة ومعاوية وأبو عمران الجوني وأبو صالح ومالك بن دينار وأبو الجوزاء وجماعة: (آلهاكم) بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام، وروي عن أبي بكر الصديق وابن عباس أيضا والشعبي وأبي العالية والكلبي وابن أبي عبلة ويعقوب والكسائي في رواية: (أألهاكم) بهمزتين مقصورتين على الاستفهام أيضا. ومعنى الاستفهام: التوبيخ والتقرير على قبح فعلهم[٣].

سبب النزول: تقدم تفصيل القول في ذلك عند الحديث عن زمان نزول السورة الكريمة.

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٣٢/ ٧٢.

(٢) المفردات: ص٤٥٥، واللباب: ٢٠/٤٧٥.

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢/ ٤٤٣، وإتحاف فضلاء البشر للبنا: ١/ ٥٩٧، والكشاف: ٤/ ٧٩٨، والمحرر: ٥/ ٥١٨، واللباب: ٢٠ ٤٧٦، ٤٧٧.

التفسير والبيان

لمن الخطاب في هذه السورة الكريمة؟

سيقت هذه السورة الكريمة على ضمير المخاطب من أولها إلى آخرها. وقد اختلفت كلمة المفسرين في المخاطب بها، وتفرق كلامهم أثناء التفسير في أكثر من موضع منها. ويتلخص كلامهم في قولين: الأول: أن الخطاب خاص بالمشركين، والثاني: أن الخطاب عام للمشركين والمؤمنين.

وقد ذكر جمهور المفسرين كلا القولين دون اختيار، بينما اختار فريق منهم القول الأول، واختار فريق آخر القول الثاني.

وعلى اختلافهم هذا اختلف التفسير وتعددت المعاني، وسيوضح كل شيء في موضعه إن شاء الله تعالى.

وهنا عند قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ لم يحدد جمهور المفسرين من المخاطب، واكتفوا بذكر الروايات الواردة في سبب النزول وبيان المعاني عليها.

• وقد رجح بعضهم كون الخطاب عاما لكل من اتصف بهذا الوصف، من المؤمنين وغيرهم.

قال ابن القيم: "الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف، وهم في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا الله تعالى.

فإن قيل: فالمؤمنون لم يلههم التكاثر، ولهذا لم يدخلوا في الوعيد المذكور لمن ألهاه.

فجواب هذا: أن الخطاب للإنسان من حيث هو إنسان على طريقة القرآن في تناول الذم له من حيث هو إنسان، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ۝١١﴾ [الإسراء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ۝٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ

﴿ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ۝٦٦﴾ [الحج: ٦٦]، ونظائره كثيرة.

فالإنسان من حيث هو عارٍ عن كل خير من العلم النافع والعمل الصالح، وإنما الله سبحانه هو الذي يكمله بذلك، ويعطيه إياه، وليس له ذلك من نفسه، بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل، وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه سبحانه، لا من نفسه.

فإلهاء التكاثر طبيعته وسجيته التي هي له من نفسه، ولا خروج له عن ذلك إلا بتزكية الله تعالى له، وجعله مريداً للآخرة، مؤثراً لها على التكاثر بالدنيا، فإن أعطاه ذلك وإلا فهو مُلْتَهٍ بالتكاثر في الدنيا ولا بد". أهـ[1].

قلت: القول بعموم الخطاب هو الراجح؛ لما ذكره ابن القيم، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والله تعالى أعلم.

المراد بالمتكاثر به وبزيارة المقابر:

أولا: لم يعين الله تعالى المتكاثر به بل ترك ذكره، ولعل السر في ذلك:

ـ إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشيء لا المتكاثر به، كما يقال: شغلك اللعب واللهو، ولم يذكر ما يلعب ويلهو به.

ـ وإما لإرادة الإطلاق، لأن الإطلاق أبلغ في الذمّ؛ ذاك أن حذف المتعلق مشعر بالتعميم، كما تقرّر في علم البيان، فتذهب النفس فيه كلّ مذهب ممكن، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مما يلهي من أسباب الدنيا، من مال أو جاه أو عبيد أو إماء أو بناء أو غراس أو علم لا يبتغى به وجه الله، أو عمل لا يقرب إلى الله، أو يلهي عن ذكر الله، وعن الواجبات، أو المندوبات، مما يتعلق بالقلب كالعلم

(١) التفسير القيم: ص٥٢٠، ٥٢١.

والتفكر والاعتبار أو بالجوارح كأنواع الطاعات. فكل هذا من التكاثر الملهي عن الله تعالى، والدار الآخرة[١].

ثانيا: تعددت أقوال السلف في المراد بالمتكاثر به وفي معنى زيارة المقابر:

أما المتكاثر به: فعن ابن عباس والحسن: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي من الأموال والأولاد[٢]، وقال قتادة: أي التفاخر بالقبائل والعشائر[٣]. وقال الضحاك: أي ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة[٤].

قلت: هذه الأقوال متقاربة، ومتداخلة؛ وتعود إلى قولين: الأول: التكاثر بالعدد، والثاني: التكاثر بالمال؛ لأن الأولاد داخلون في القبائل والعشائر، والمعاش والتجارة داخلان في الأموال.

والراجح: والله أعلم أن الآية الكريمة تعم ذلك وغيره من كل ما ينشغل به الناس عن طاعة الله تعالى والاستعداد ليوم الحساب. فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن طاعة الله تعالى فهو داخل في حكم هذه الآية.

وأما زيارة المقابر: فالمروي عن ابن عباس وابن بريدة ومقاتل والكلبي يعني أن المراد بها: زيارة المقابر على الحقيقة[٥]. والمروي عن قتادة يعني أنها: كناية عن الموت[٦].

---

(١) ملخص من: التفسير الكبير: ٣٢/٧٤، والتفسير القيم: ص٥١٣، ٥١٤، وفتح القدير: ٥/٤٨٨، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٤.

(٢) الأثر: عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٨/٦١١) لابن المنذر، وذُكِر في النكت والعيون: ٦/٣٣٠، وزاد المسير: ٩/٢١٩، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٠.

(٣) الأثر: ذُكِر في النكت والعيون: ٦/٣٣٠. وزاد المسير: ٩/٢١٩، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٠.

(٤) المصادر السابقة: نفس المواضع.

(٥) الأثر: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٤٦٠، وذُكِر في الكشف والبيان: ١٠/٢٧٦، ومعالم التنزيل: ٤/٥٢٠، والنكت والعيون: ٦/٣٣٠، ٣٣١. وزاد المسير: ٩/٢١٩.

(٦) الأثر: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٤٦٠، وذكر في المصادر السابقة: نفس المواضع.

وبناء على هذا الاختلاف يكون المعنى:

أما على القول الأول: فيكون المعنى: شغلكم حرصكم على التباري والتسابق والتباهي بمتع الدنيا الزائلة عن طاعة الله تعالى والاستعداد ليوم الحساب حتى زرتم المقابر، ولم تتعظوا بمن سبقكم فيها من الأموات!!!.

فزيارة المقابر على هذا الوجه: على ظاهرها.

والآيتان على هذا الوجه خبر أريد به التقريع والتوبيخ والتحذير لمن هم على تلك الحال من الغفلة والبلادة، حيث لم يتعظوا بزيارة المقابر، وقد رأوا بأعينهم أن كل متعة إلى زوال، وأن المرء لا يأخذ معه في قبره من دنياه شيئا إلا عمله الصالح، فهو أنيسه في وحشته، وجليسه في غربته.

وأما على القول الثاني: فيكون المعنى: شغلكم حرصكم على التباري والتسابق والتباهي بمتع الدنيا الزائلة عن طاعة الله تعالى والاستعداد ليوم الحساب، حتى فاجأكم الموت وأنتم على تلك الحالة، وصرتم من أهل القبور بعد أن كنتم من أهل الدور والقصور!!!.

فزيارة المقابر على هذا الوجه: كناية عن الموت.

يقال لمن مات: زار قبره، وزار رمسه، قال جرير للأخطل:

زار القبور أبو مالك **** فكان كألأم زوارها[1]

أي: مات[2].

والآيتان على هذا الوجه خبر أريد به التعجب والتحسر والتحذير من هذا المصير المشؤوم الذي لا يتمناه ولا يرجوه عاقل.

المختار في معنى زيارة المقابر:

لم يرجح جمهور المفسرين أيا من القولين، بينما رجح بعض المفسرين كالحافظ ابن كثير، والقاسمي[3]، أنها كناية عن الموت.

---

(١) ديوان جرير: ص٣٠٠.

(٢) الكشاف: ٧٩٨/٤، والتفسير الكبير: ٧٤/٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٦٩/٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥٤٦/٤، ومحاسن التأويل: ٦٢٤٦/١٧.

قال الحافظ ابن كثير: "والصحيح أن المراد بقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾. أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مَرِيضٍ يَعُودُهُ قال: (لَا بَأْسَ طَهُورٌ إن شَاءَ الله) فقال له: (لَا بَأْسَ طَهُورٌ إن شَاءَ الله) قال: قلت: طَهُورٌ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أو تَثُورُ على شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُور، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فَنَعَمْ إذًا)[١].

وأخرج الترمذي عن زر بن حبيش، عن علي رضي الله عنه قال: (ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾)[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم: عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ فلبث هنيهة فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله. قال أبو محمد: يعني أن يرجع إلى منزله، إلى جنة أو نار[٣]". اهـ[٤].

وأدلة الحافظ ابن كثير هذه وإن لم تكن نصا في أن المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾: صرتم إليها ودفنتم فيها، إلا أن فحواها تشير إلى ذلك.

وقد أورد بعض المفسرين على هذا القول إشكالا من وجهين والجواب عنهما[٥]:

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة: ٣/ ١٣٢٤، ح(٣٤٢٠).

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التكاثر: ٥/٤٤٧، ح(٣٣٥٥)، وقال: "هذا حديث غريب" وقال: الألباني: "ضعيف الإسناد".

(٣) الأثر: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم: ١٠/٣٤٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٥٤٦.

(٥) التفسير الكبير: ٣٢/٧٤، والسراج المنير: ٤/٦٧٥، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٤، وغيرها. بتلخيص.

الأول: أن شأن الزائر أن ينصرف قريبا والأموات يبقون في القبور مدة مديدة، فكيف يقال: إنه زار القبر؟. والثاني: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ﴾ إخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل؟.

والجواب عن الأول: أن سكان القبور لا يبقون فيها بل لا بد أن ينصرفوا عنها إلى الحساب، ولهذا عبر بالزيارة، إشارة إلى أنهم غير مستقرين فيها، بل لابد لهم أن يرحلوا عنها كما رحلوا عن الدنيا.

وعن الثاني: بأن هذا الفعل لتحققه عبر عنه بالماضي؛ كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠]. أو يقال: إن الخبر عمن تقدم على سبيل الوعظ لأهل الحاضر والمستقبل.

قلت: أرى والله تعالى أعلم جواز حمل الآية الكريمة على القولين معا دون تعارض.

فمن الناس فريق: شغلتهم الدنيا بزخارفها ومتعها عن طاعة الله تعالى، وزاروا القبور ولم يتعظوا بمن سبقهم فيها من الأموات!!!!.

ومن الناس فريق ثان: شغلتهم الدنيا بزخارفها ومتعها عن طاعة الله تعالى، حتى فاجأهم الموت وهم على تلك الحالة، وصاروا من أهل القبور.

ومن الناس فريق ثالث: شغلتهم الدنيا بزخارفها ومتعها عن طاعة الله تعالى، وزاروا القبور ولم يتعظوا بمن سبقهم فيها من الأموات، حتى فاجأهم الموت وهم على تلك الحالة، فماتوا وصاروا من أهل القبور!!! فاجتمع عليهم الأمران.

وبناء على ذلك: يجوز حمل زيارة المقابر في الآية الكريمة على المعنيين: الحقيقي والمجازي دون تعارض. والله أعلم.

من الوجوه البلاغية والدقائق في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾:

(١) قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أبلغ في الذم مما لو قال: (شغلكم):

وذلك لعدم التلازم بين اللهو والاشتغال؛ ذلك أن الإنسان قد يشتغل بالشيء بجوارحه وقلبُه غير لاهٍ به، بينما اللهو ذهول وإعراض[١].

(٢) قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ خبر خرج عن حقيقته إلى معنى آخر:

فإن كانت زيارة المقابر على حقيقتها: فهو خبر أريد به التقريع والتوبيخ والتحذير لمن هم على تلك الحال من الغفلة والبلادة، حيث لم يتعظوا بزيارة المقابر. وإن كانت زيارة المقابر كناية عن الموت: فهو خبر أريد به التعجب والتحسر والتحذير من هذا المصير المشئوم.

(٣) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ كناية عن الموت بزيارة القبور، وهذا على رأي بعض المفسرين.

(٤) في التعبير عن الموت بزيارة المقابر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ إشارة إلى قصر المدة في القبور، وإشارة إلى تحقق البعث:

أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ثم قال: ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله، من جنة أو نار[٢].

وذكر بعض المفسرين: أن أعرابيا سمع ذلك فقال: بعث القوم للقيامة ورب الكعبة، فإن الزائر منصرف لا مقيم[٣].

قال الشهاب: "وفيها إشارة إلى تحقق البعث؛ لأن الزائر لابد من انصرافه عما زاره"[٤].

---

(١) الفوائد لابن القيم: ص٣٠.

(٢) الأثر: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم: ٣٤٥٩/١٠.

(٣) المحرر الوجيز: ٥١٨/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٤٦/٤، وروح المعاني: ٢٢٤/٣٠.

(٤) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي: ٣٩٣/٨.

وقال البقاعي: "ولما كانوا ينكرون البعث، ويعتقدون دوام الإقامة في القبور، عبر بالزيارة؛ إشارة إلى أن البعث لا بد منه ولا مرية فيه، وأن اللبث في البرزخ وإن طال فإنما هو كلبث الزائر عند مزوره في جنب الإقامة بعد البعث في دار النعيم أو غار الجحيم، وأن الإقامة فيه محبوبة للعلم بما بعده من الأهوال والشدائد والأوجال"[1].

وقال ابن القيم: "وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم إلى غاية كل حي زائرين غير مستوطنين!!، بل هم مستودعون في المقابر مدة، وبين أيديهم دار القرار، فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين، فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار؟!! فهم فيها عابروا سبيل إلى محل الزيارة، ثم منتقلون من محل الزيارة إلى المستقر، فههنا ثلاثة أمور: عبور السبيل في هذه الدنيا، وغايته زيارة القبور، وبعدها النقلة إلى دار القرار".

(٥) في التعبير بلفظ (حتى) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: دليل على إصرارهم على التلاهي بالدنيا عن طاعة الله تعالى:

في التعبير بلفظ ﴿حَتَّىٰ﴾ التي تدل على انتهاء الغاية إشارة إلى أن مصيبة هؤلاء المكاثرين هي شدة إصرارهم على هذا التلاهي بالدنيا عن طاعة الله تعالى، وأنه لا يزال طبعاً لهم، فقد استمر اغترارهم بالدنيا حتى فاجأهم الموت، ونقلوا على غير عدة واستعداد إلى مقابرهم، قصرت أطماعهم الفارغة أن تستوعبها أعمارهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا في اثْنَتَيْنِ في حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَمَلِ)[2]. وعن ابن عباس رضي الله

(١) نظم الدرر: ٥١٧/٨.

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: العمل الذي يبتغي به وجه الله: ٢٣٦٠/٥، ح(٦٠٥٧).

عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لو كان لابن آدَمَ وَادِيَانِ من مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا ولا يَمْلَأُ جَوْفَ بن آدَمَ إلا التُّرَابُ وَيَتُوبُ الله على من تَابَ) (١).

(٦) قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ قرينة على أن المقصود بالتكاثر هنا هو التكاثر الملهي عن طاعة الله تعالى والاستعداد للآخرة. وعليه فاللام في لفظ (التكاثر) للعهد الذهني.

أما التكاثر في الطاعات والأخلاق والعلوم والمعارف وغيرها من أسباب السعادة الأخروية، فإنه مطلوب شرعاً، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦]؛ فبهذا التكاثر تُنال السعادة في الدارين.

قال الرازي: "فمطلق التكاثر ليس بمذموم، بل التكاثر في العلم والطاعة والأخلاق الحميدة هو المحمود، وهو أصل الخيرات، فالألف واللام في التكاثر ليسا للاستغراق، بل للمعهود السابق، وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلائقها، فإنه هو الذي يمنع عن طاعة الله تعالى وعبادته، ولما كان ذلك مقررا في العقول ومتفقا عليه في الأديان، لا جرم حسن إدخال حرف التعريف عليه" (٢).

وعليه فالتكاثر من حيث تعلق الذم والحمد قسمان: مذموم ومحمود.

أما التكاثر المذموم: فهو تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم، فهذا تكاثر مُلْهٍ عن طاعة الله تعالى والاستعداد للقائه، وهو صائر إلي غاية القلة، وعاقبة هذا التكاثر قل وفقر وحرمان، وهو المَعْنِيُّ في الآية الكريمة.

وأما التكاثر الممدوح: فهو التكاثر بأسباب السعادة الأخروية، وهو التكاثر الذي لا يزال يذكر بالله تعالى ولقائه.

وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولا وأحسن منه عملا وأغزر علما، وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال: ٥/٢٣٦٤، ح(٦٠٧٢).

(٢) التفسير الكبير: ٣٢/٧٣.

عن لحاقه فيها كاثره بخصلة أخرى هو قادر على المكاثرة بها، وليس هذا التكاثر مذموما ولا قادحا في إخلاص العبد، بل هو حقيقة المنافسة واستباق الخيرات. وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي الله عنهم في تصاولهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره، وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي الله عنهما، فلما تبين له مدى سبقه له قال: "والله لا أسابقك إلي شيء أبدا"(١).

أخرج أبو داود والدارمي والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (أَمَرَنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذلك مَالًا عِنْدِي فقلت الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إن سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ما أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قلت مِثْلَه قال وَأَتَى أبو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ ما عِنْدَهُ فقال له رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ما أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قال أَبْقَيْتُ لهم اللَّهَ وَرَسُولَهُ قلت لَا أُسَابِقُكَ إلى شَيْءٍ أَبَدًا)(٢).

(٥) لو حصلت الكثرة من غير تكاثر فلا بأس:

وبناء على ما سبق فإنه لو حصلت الكثرة من غير تكاثر لم يضر، لأن الله تعالى علق الذم في الآية الكريمة على التكاثر الملهي عن التزود للآخرة، وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم أهل كثرة في المال أو الولد ولم تضرهم؛ لكونها حاصلة من غير تكاثر كما لا يخفى"(٣).

---

(١) مستفاد من التفسير القيم: ص٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الزكاة، باب: في الرخصة في ذلك: ٢/ ١٢٩، ح(١٦٧٨). والدارمي في سننه: كتاب: الزكاة، باب: الرجل يتصدق بجميع ما عنده: ١/ ٤٨٠، ح(١٦٦٠). والحاكم في المستدرك: كتاب الزكاة: ١/ ٥٧٤، ح(١٥١٠)، وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

(٣) التفسير القيم: ص٥٢٢. بتصرف كثير

(٦) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ إشارة إلى زيارة المقابر:

لما كان قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ يعم المعنيين: زيارة المقابر على الحقيقة، وزيارة المقابر على الكناية بمعنى الموت، لا جرم ذكر بعض المفسرين هنا نبذة عن حكم زيارة المقابر وآدابها وفوائدها، وها هي نبذة موجزة للفائدة:

زيارة القبور: حكمها، وفوائدها، وآدابها:

١ـ أما حكمها بالنسبة للرجال:

فلا خلاف بين الفقهاء في أن زيارة القبور مندوبة للرجال، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم عن عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا)[١]، وفي رواية أبي داود: (فَزُورُوهَا فإن في زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً)[٢]، وفي رواية ابن ماجه: (فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ في الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ)[٣].

ولأنه صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى البقيع لزيارة الموتى ويقول: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَأَتَاكُمْ ما تُوعَدُونَ غَدًا مُؤَجَّلُونَ وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ اللهم اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ)[٤].

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب: استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه: ٢/ ٦٧٢ ح(٩٧٧).

(٢) الحديث: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور: ٣/ ٢١٨، ح(٣٢٣٥).

(٣) الحديث: أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور: ١/ ٥٠١، ح(١٥٧١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها: ٢/ ٦٦٩ ح(٩٧٤).

٢ـ وأما حكمها بالنسبة للنساء:

• **فمذهب الجمهور:** أنه تكره زيارتهن للقبور، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: (لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ)[١]، وفي رواية: (لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ)[٢]. ولقلة صبر النساء، وكثرة جزعهن، وقلة احتمالهن للمصائب، وهذا مظنة لطلب بكائهن، ورفع أصواتهن.

• **وذهب الحنفية** ـ في الأصح ـ إلى أنه يندب للنساء زيارة القبور كما يندب للرجال، لقوله صلى الله عليه وسلم: (نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا)[٣].

وفَصَّل الخير الرملي فقال: "إن كان ذلك لتجديد الحزن والبكاء والندب وما جرت به عادتهن فلا تجوز، وعليه حمل حديث (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ). وإن كان للاعتبار والترحم من غير بكاء، فلا بأس ـ إذا كن عجائز ـ ويكره إذا كن شواب، كحضور الجماعة في المساجد"[٤]. قال ابن عابدين: "وهو توفيق حسن"[٥].

• **وقال الحنابلة:** تكره زيارة القبور للنساء، لحديث أم عطية رضي الله عنها: (نُهِينَا عن اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ولم يُعْزَمْ عَلَيْنَا)[٦]. فإن علم أنه يقع منهن محرم، حرمت زيارتهن القبور، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم: (لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ)[٧].

---

(١) الحديث: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء للقبور: ١/٥٠٢، ح(١٥٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب الجنائز، باب ما ورد في نهيهن عن زيارة القبور: ٤/٧٨، ح(٦٩٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث: سبق تخريجه.

(٤) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين: ٢/ ٢٤٢.

(٥) المصدر السابق: نفس الموضع.

(٦) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب: اتباع النساء الجنائز: ١/ ٤٢٩ ح(١٢١٩).

(٧) الحديث: سبق تخريجه.

قالوا: وإن اجتازت امرأة بقبر في طريقها فسلمت عليه ودعت لصاحبه فحسن؛ لأنها لم تخرج لذلك.

ويستثنى من الكراهة زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه يندب لهن زيارته، لعموم الأدلة في طلب زيارته صلى الله عليه وسلم[١].

فوائد زيارة القبور:

قال القرطبي: "وزيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي؛ لأنها تذكر الموت والآخرة، وذلك يحمل على قصر الأمل، والزهد في الدنيا، وترك الرغبة فيها. فعن عبد الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (كنت نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ في الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ)[٢] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: (فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ)[٣]. وفي رواية أبي داود: (فَزُورُوهَا فإن في زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً)[٤].

قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، ويواظب على مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين. فهذه ثلاثة أمور، ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه؛ فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه ران قلبه، واستحكمت فيه دواعي الذنب؛ فإن مشاهدة المحتضرين،

---

(١) المغني لابن قدامة: ٢/ ٢٢٦، وروض المربع للبهوتي: ١/ ٣٥٥، ٣٥٦، ومطالب أولي النهى للرحيباني: ١/ ٩٣٢، ٩٣٣.

(٢) الحديث: أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور: ١/ ٥٠١، ح(١٥٧١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب: استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه: ٢/ ٦٧١ ح(٩٧٦).

(٤) الحديث: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في زيارة القبور: ٣/ ٢١٨، ح(٣٢٣٥).

وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير. وفي مشاهدة من احتضر، وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة؛ فلذلك كان أبلغ من الأول. فأما الاعتبار بحال المحتضرين، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات، وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر" اهـ[1].

آداب زيارة القبور:

قال القرطبي: "ينبغي لمن عزم على الزيارة، أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على الأحداث فقط؛ فإن هذه حاله تشاركه فيها بهيمة، ونعوذ بالله من ذلك، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء، ويتجنب المشي على المقابر والجلوس عليها، ويسلم إذا دخل المقابر، وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضا، وأتاه من تلقاء وجهه، لأنه في زيارته كمخاطبته حيا، ولو خاطبه حيا لكان الأدب استقباله بوجهه؛ فكذلك ها هنا.

ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر؛ فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه. فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال؛ كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل من بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم.

وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٠، ١٧١.

وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع، كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله.

وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه" أهـ[1].

****

(١) المصدر السابق: نفس الموضع.

قوله تعالى:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾

التفسير والبيان

المخاطب بقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾:

اكتفى جمهور المفسرين هنا أيضا بذكر الأقوال في هاتين الآيتين دون أن يذكروا المخاطب بهما. بينما نص ابن القيم أيضا على عموم الخطاب؛ حيث قال:

"وأما احتجاجهم (أي المخالفون) بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار فيقال له: الوعيد المذكور مشترك، وهو العلم عند معاينة الآخرة، فهذا أمر يحصل لكل أحد لم يكن حاصلا له في الدنيا، وليس في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ ما يقتضي دخول النار فضلا عن التخليد فيها"[1].

معنى: ﴿ كَلَّا ﴾:

جمهور المفسرين على أن لفظ ﴿ كَلَّا ﴾ للردع والزجر عن الاشتغال بالتكاثر، والمعنى: ليس الأمر على ما زعمتم وتوهمتم أن الفوز بكثرة متاع الدنيا، وإنما الفوز في طاعة الله والاستعداد للقائه. والتكرار لتأكيد الردع والزجر. و﴿ ثُمَّ ﴾ للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول. وقيل: إنه بمعنى (حقا)، والمعنى: حقا سوف تعلمون[2].

وعلى كلا المعنيين ذكر الإمام الرازي صلته بالسابق واللاحق؛ حيث قال:

"أما اتصاله بما قبله: فعلى وجه الرد والتكذيب، أي: ليس الأمر كما يتوهمه هؤلاء من أن السعادة الحقيقية بكثرة العدد والأولاد وسائر متاع الدنيا. وأما اتصاله بما بعده: فعلى معنى القسم، أي: حقا سوف تعلمون، لكن حين يصير الفاسق

---

(١) التفسير القيم: ص٥٢١.

(٢) النكت والعيون: ٣٣١/٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٢٠.

تائبا، والكافر مسلما، والحريص زاهدا، ومنه قول الحسن: (لا يغرنك كثرة من ترى حولك فإنك تموت وحدك، وتحاسب وحدك)، وتقريره في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّع بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٩][1].

وفي سر تكرار قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ وجوه:

ـ قال الفراء: ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر، والتمام على هذا على قوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي سوف تعلمون عاقبة هذا. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾: تكرير للتأكيد والتغليظ[2]، وهو وعيد بعد وعيد. قال الزمخشري: والتكرير تأكيد للردع والإنذار، كما تقول للمنصوح: أقول لك، ثم أقول لك: لا تفعل، و ﴿ثُمَّ﴾ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ[3]. ولكونه أبلغ نزل منزلة المغايرة فعُطِف[4].

ـ قال ابن عباس: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾: ما ينزل بكم من العذاب في القبر، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾: وعيد بعد وعيد، أي إذا حل بكم العذاب في الآخرة [5]. فالأول في القبر، والثاني في الآخرة؛ فالتكرار للحالتين.

ـ قال مجاهد والحسن: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ وعيد بعد وعيد[6].

---

(١) التفسير الكبير: ٣٢/٧٤، ٧٥.

(٢) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٢، بنحوه، ولم أعثر عليه في معاني القرآن للفراء.

(٣) الكشاف: ٤/٧٩٨، والتفسير الكبير: ٣٢/٧٥، والبحر المحيط: ٨/٥٠٦.

(٤) روح المعاني: ٣٠/٢٢٤.

(٥) الأثر: ذُكِر في الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٢.

(٦) الأثر: ذُكِر في معالم التنزيل: ٤/٥٢٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٥٤٦.

- وقيل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ عند المعاينة، أن ما دعوتكم إليه حق. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾: عند البعث أن ما وعدتكم به صدق[١].

- وقيل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾، إذا نزل بكم الموت، وجاءتكم رسل الله لتنزع أرواحكم. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾: إذا دخلتم قبوركم، وجاءكم منكر ونكير، وحاط بكم هول السؤال، وانقطع منكم الجواب[٢].

قال القرطبي: فتضمنت السورة على هذا الوجه: القول في عذاب القبر[٣].

- وقيل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ عند النشور أنكم مبعوثون ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ في القيامة أنكم معذبون[٤].

قال القرطبي: فتضمنت السورة على هذا الوجه: أحوال القيامة من بعث وحشر، وسؤال وعرض، إلى غير ذلك من أهوالها[٥].

- وقال الضحاك: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ يعني الكفار، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾: يعني المؤمنين. وكذلك كان يقرؤها، الأولى بالتاء والثانية بالياء[٦]. فالأول وعيد والثاني وعد. وهو خلاف الظاهر؛ كما قال الألوسي[٧].

المختار من هذه الأقوال:

أرى والله تعالى أعلم: أن أكثر هذه الأقوال مقبول وتحتمله الآيتين، لكني أرجح أن يكون العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر؛ وهو ما رجحه بعض المفسرين.

---

(١) النكت والعيون: ٣٣١/٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٢٠.

(٣) المصدر السابق: نفس الموضع.

(٤) النكت والعيون: ٣٣١/٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٢٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٢٠.

(٦) الأثر: أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٨٥/٣٠، وذكر في الكشف والبيان: ٢٧٧/١٠، ومعالم التنزيل: ٥٢٠/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٤٦/٤.

(٧) روح المعاني: ٢٢٥/٣٠.

قال ابن القيم: "وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾: قيل: تأكيد لحصول العلم كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ: ٤، ٥]. وقيل: ليس تأكيدا، بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، هذا قول الحسن، ومقاتل، ورواه عطاء عن ابن عباس، ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه:

أحدها: أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته، وعدم الإخلال بالفصاحة.

الثاني: توسط (ثم) بين العِلمين، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبتين زمانا وخطرا.

الثالث: أن هذا القول مطابق للواقع، فإن المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علما هو فوق الأول.

الرابع:أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر، أخرج الترمذي عن زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال:(ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾)[1]، قال الواحدي: يعني أن معنى قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ في القبر.

الخامس: أن هذا مطابق لما بعده من قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾، فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين..." اهـ[2].

يريد ابن القيم أن العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر، ثم هناك رؤيتان مختلفان للجحيم يوم القيامة، على ما سيأتي بيانه في موضعه.

---

(١) الحديث: سبق تخريجه.

(٢) التفسير القيم: ص٥١٥، ٥١٦.

من الوجوه البلاغية والدقائق في الآيتين:

تضمنت الآيتان وجوها من المبالغة في تقوية الإنذار:

(١) افتتاحهما بأداة الردع والزجر (كلا) للتنبيه على خطئهم في اعتقادهم أن الفوز في التكاثر بمتاع الدنيا، وإنما الفوز في طاعة الله والاستعداد للقائه.

(٢) تكرار قوله تعالى: (كلا سوف تعلمون) لتأكيد الردع والزجر والإنذار؛ وهذا على قول بعض المفسرين.

(٣) عطفه بـ (ثم) للتنبيه على أن الردع والإنذار الثاني أبلغ من الأول، كما تقول للمنصوح: أقول لك، ثم أقول لك: لا تفعل، ولكونه أبلغ نزل منزلة المغايرة فعطف بـ (ثم)؛ وهذا على رأي بعض المفسرين أيضا.

******

قوله تعالى:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾

المفردات:

قوله تعالى: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، وقوله تعالى: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾:

قال الجرجاني: "اليقين في اللغة: العلم الذي لا شك فيه، وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء أنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، اعتقادا مطابقا للواقع غير ممكن الزوال"(١).

وقال الراغب: "اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الفهم"(٢).

وقد سئل ابن تيمية عن قوله تعالى: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، وقوله تعالى: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، فقال:

"﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: هو ما علمه المرء بالسماع والخبر والقياس والنظر، و ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: هو ما شاهده وعاينه بالبصر، و﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ هو ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار. فالأول: مثل من أخبر أن هناك عسلًا، وصَدَّق المخبِر، أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده. والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه، وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس الخبر

---

(١) التعريفات: ص٣٣٢.

(٢) المفردات: ص٥٥٢.

كالمعاينة)[١]. والثالث: مثل من ذاق العسل، ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله" اهـ[٢].

قال ابن القيم: "فالمراتب ثلاث: علم يقين يحصل عن الخبر ثم تتجلى حقيقة المخبَر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين، ثم يباشره ويلابسه فيصير حق يقين. فعلمنا بالجنة والنار الآن علم يقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين في الموقف وبرزت الجحيم للغاوين وشاهدوهما عيانا كان ذلك عين يقين، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة: ٩٥]" اهـ[٣].

القراءات:

قرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء مبنيا للمفعول مضارع (أرى) في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ وقرأ باقي العشرة بفتحها. واتفقوا على فتح التاء في الثانية مبنيا للفاعل مضارع (رأى) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾. لأن المعنى فيه أنهم يُرَونها أي تريهم أولاً الملائكة أو من شاء الله تعالى، ثم يَرَونها بأنفسهم[٤].

فمن قرأ الأولى بالضم والثانية بالفتح: فلأن المعنى فيه أنهم يُرَونها، أي: تريهم أولاً الملائكة أو من شاء الله تعالى، ثم يَرَونها بأنفسهم[٥]. ومن قرأهما

---

(١) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٥١، ح(٣٢٥٠)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند: ١/ ٢١٥، ح(١٨٤٢)، وابن حبان في صحيحه: ١٤/ ٩٦، ح(٦٢١٣) وقال محققهما شعيب الأرناؤط: "صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين". جميعهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٠/ ٦٤٥، ٦٤٧، بتصرف يسير.

(٣) مدارج السالكين: ١/ ٤٧٢، بتصرف يسير.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٤٤٣، وإتحاف فضلاء البشر: ص٥٩٧.

(٥) المصدران السابقان: نفس الموضع. والحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ص٣٧٥.

بالفتح: فإما أنهما رؤية واحدة والثانية تكرار للتأكيد، تغليظا للتهديد وزيادة في التهويل، وإما أنهما رؤيتان مختلفتان، على ما سيبين في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقرئ شاذا عن الحسن: (لترؤن) و(ثم لترؤنها) بهمزة الواوين[١].

التفسير والبيان

المخاطب بقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾:

اكتفى جمهور المفسرين[٢] هنا أيضا بذكر القولين في المخاطب بهذه الآيات، ولم يرجحوا أيا منهما:

القول الأول: أن الخطاب للمشركين الذين وجبت لهم النار، ونسبوا لابن عباس رضي الله عنهما أن هذا خطاب للمشركين[٣]. وعليه: فالرؤية رؤية دخول.

والثاني: أن الخطاب للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وعليه: فالرؤية بصرية والجميع يراها، المؤمن يراها وينجو منها، والكافر يراها ويتكردس فيها. فهي للكفار دار، وللمؤمنين ممر، وأحاديث الصراط ثابتة في الصحيحين.

بينما رجح بعضهم كون الخطاب خاصا بالمشركين؛ قال الطاهر بن عاشور: "وهذا خطاب للمشركين الذين لا يؤمنون بالجزاء وليس خطابا للمسلمين؛ لأن المسلمين يعلمون ذلك علم اليقين... والإخبار عن رؤيتهم الجحيم كناية عن الوقوع فيها، فإن الوقوع في الشيء يستلزم رؤيته، فيكنى بالرؤية عن الحضور"[٤].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر: ص٥٩٧.

(٢) يراجع مثلا: النكت والعيون: ٣٣١/٦، والمحرر الوجيز: ٥١٩/٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٣/٢٠، والبحر المحيط: ٥٠٦/٨، واللباب: ٤٨٠/٢٠، وفتح القدير: ٤٨٩/٥، وغيرها.

(٣) المحرر الوجيز: ٥١٩/٥، والبحر المحيط: ٥٠٦/٨، وروح المعاني: ٢٢٤/٣٠.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٢٢/٣٠.

ورجح بعضهم كون الخطاب عاما للناس جميعا، قال ابن القيم: "وأما احتجاجهم (أي المخالفون) بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار فيقال: الوعيد المذكور مشترك، وهو العلم عند معاينة الآخرة، فهذا أمر يحصل لكل أحد لم يكن حاصلا له في الدنيا، وليس في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ ما يقتضي دخول النار فضلا عن التخليد فيها، وكذلك رؤية الجحيم في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ لا يستلزم دخولها لكل من رآها، فإن أهل الموقف يرونها ويشاهدونها عيانا، وقد أقسم الله تبارك وتعالى أنه لابد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم، قال تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾، فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها" أ.هـ[1].

المختار: المختار والله تعالى أعلم كون الخطاب عاما للناس جميعا.

معنى لفظ: ﴿كَلَّا﴾:

لفظ (كلا) عند جمهور المفسرين للردع والزجر كالموضعين السابقين[2].

والمعنى: ارتدعوا أتم ردع وانزجروا أعظم زجر عن الاشتغال بما لا ينفع، فإنه ليس الأمر كما تظنون من أن الخير في المكاثرة بأعراض الدنيا. **وقيل أيضا:** إنه بمعنى (حقا)، كأنه قيل: "حقا لو تعلمون علم اليقين لعلمتم أنكم في ضلال؛ قاله الحسن البصري والفراء[3].

---

(١) التفسير القيم: ص٥٢١، بتصرف يسير.

(٢) التفسير الكبير: ٣٢/٧٥، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٣، والبحر المحيط: ٨/٥٠٦، واللباب: ٢٠/٤٧٩، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٥، وفتح القدير: ٥/٤٨٩، وغيرها.

(٣) النكت والعيون: ٦/٣٣١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٣، ولم أعثر عليه في معاني القرآن للفراء.

السر في تكرار لفظ (كلا):

قال المفسرون: وإنما حسنت إعادة لفظ (كلا): لأنه عُقِّب في كل موضع بغير ما عُقِّب به الموضع الآخر، كأنه تعالى قال: لا تفعلوا هذا فإنكم تندمون، لا تفعلوا هذا فإنكم تستوجبون العقاب[١].

(**لو**): حرف شرط غير جازم[٢].

وجوابـــــها: فيه وجهان:

الأول: أنه قوله تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾، وهو قول لبعض المفسرين؛ قال الثعلبي: "قوله تعالى﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ يصلح أن يكون في معنى المضي جوابا لـ (لو)، تقديره: لو تعلمون العلم اليقين لرأيتم الجحيم بقلوبكم، ثم رأيتموها بالعين اليقين"[٣].

قلت: هو قول مردود.

والثاني: أنه محذوف، وأنه ليس قوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾، وهو قول جمهور المفسرين[٤]، ويدل عليه وجوه:

أحدهما: أن ما كان جواب (لو) فنفيه إثبات، وإثباته نفي، فلو كان قوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ جوابا لـ (لو) لوجب أن لا تحصل هذه الرؤية، وذلك باطل، فإن هذه الرؤية واقعة قطعا.

فإن قيل: المراد من هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا، ثم إن هذه الرؤية غير واقعة قلنا: ترك الظاهر خلاف الأصل.

---

(١) التفسير الكبير: ٧٥/٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٣/٢٠، واللباب: ٤٧٩/٢٠.

(٢) الجدول في إعراب القرآن: ٣٠/ ٣٩٧، والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ١٢/ ٥٠١.

(٣) الكشف والبيان: ٢٧٧/١٠.

(٤) إعراب القرآن لأبي يحي زكريا الأنصاري: ص٥٦٩، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري: ١٣٠٢/٢، والتفسير الكبير: ٧٥/٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٣/٢٠، والبحر المحيط: ٥٠٦/٨، والدر المصون للسمين الحلبي: ٩٨/١١، واللباب: ٤٧٩/٢٠، وفتح القدير: ٤٨٩/٥.

والثاني: أن قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ إخبار عن أمر محقق الوقوع، فلا يعلق، وعطفه على ما لا يوجد ولا يقع قبيح في النظم[١].

الثالث: أن نظم الكلام صيغة قسم بدليل قرنه بنون التوكيد، وجواب (لو) ممتنع الوقوع فلا تقترن به نون التوكيد[٢].

ولعل السر في حذف جواب (لو) هنا: أن يذهب الوهم فيه كل مذهب، فيكون التهويل أعظم، وكأنه تعالى قال: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه، ولكنكم ضلال وجهلة[٣].

وقد ذكر المفسرون في تقدير هذا الجواب وجوها:

قال الأخفش: المعنى: لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم التكاثر بالدنيا. وقال أبو مسلم: لو علمتم لأي أمر خلقتم لاشتغلتم به[٤]. وقيل: لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر[٥]. وقيل المعنى: لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه إذا جاءتكم نفخة الصور، وانشقت اللحود عن جثثكم، كيف يكون حشركم؟ لشغلكم ذاك عن التكاثر بالدنيا[٦]. وكلها معان متقاربة.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ وجوه:

الأول: أن إضافة (علم) إلى (اليقين) من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي: لو تعلمون علما يقينا، كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ١٠٩] وكما يقال: "مسجد الجامع"، و"عام الأول"[٧].

---

(١) التفسير الكبير: ٣٢/٧٥، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٥، وإعراب القرآن لمحي الدين درويش: ١٠/ ٥٧٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/٥٢٢.

(٣) الكشاف: ٤/٧٩٩، والتفسير الكبير: ٣٢/٧٥.

(٤) التفسير الكبير: ٣٢/٧٥.

(٥) روح المعاني: ٣٠/٢٢٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٣.

(٧) التفسير الكبير: ٣٢/٧٦، والبحر المحيط: ٨/٥٠٦، والدر المصون: ١١/٩٨، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٥، بتصرف يسير.

وعليه فالمعنى: لو تعلمون علما يقينا ما ألهاكم التكاثر بالدنيا ولاشتغلتم بما ينفعكم في الدنيا والآخرة.

الثاني: أن إضافة (علم) إلى (اليقين) إضافة بيانية فإن اليقين علم.

وعليه فالمعنى: لو علمتم علما مطابقا للواقع لبان لكم شنيع ما أنتم فيه، ولكن علمهم بأحوالهم جهل مركب من أوهام وتخيلات، وفي هذا نداء عليهم بالتقصير في اكتساب العلم الصحيح[١].

الثالث: أن اليقين ههنا هو الموت؛ قاله قتادة[٢]. وعنه أيضا: البعث[٣]. وقد سمي الموت يقينا في قوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩] ولأنهما إذا وقعا جاء اليقين، وزال الشك.

وعليه فالمعنى: لو تعلمون علم الموت وما يلقى الإنسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم التكاثر والتفاخر عن ذكر الله تعالى، وقد يقول الإنسان: أنا أعلم علم كذا أي أتحققه، وفلان يعلم علم الطب وعلم الحساب، لأن العلوم أنواع فيصلح لذلك أن يقال: علمت علم كذا[٤].

قلت: الاختلاف في هذه الأقوال من باب التنوع لا من باب التضاد، ولذا فالآية الكريمة تحتمل كل هذه المعاني.

قوله تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾ ﴾

اللام واقعة في جواب قسم محذوف، والجملة جواب قسم محذوف لا محل لها من الإعراب، أكد به الوعيد وشدد به التهديد، وأوضح به ما أنذرهم منه بعد

---

(١) التحرير والتنوير: ٥٢٢/٣٠، بتصرف يسير.

(٢) الأثر: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٣/ ٣٩٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٠.

(٣) الأثر: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٠، والطبري في جامع البيان: ٢٤/ ٥٨١.

(٤) التفسير الكبير: ٧٦/٣٢.

إبهامه، تفخيما وتعظيما، ففي إيضاح الشيء بعد إبهامه ما لا يخفى من التفخيم والتعظيم. والمعنى: والله لترون الجحيم، أي في الآخرة[١].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾

﴿ ثُمَّ ﴾ (ثم) هنا تحتمل وجهين: الأول: أن تكون للتراخي الرتبي، أي للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول. والثاني: أن تكون للعطف، فتعني الترتيب والتراخي، أي أنهما رؤيتان، ولا تكرار؛ لأنهما مختلفتان، وسيأتي تفصيل ذلك.

﴿ لَتَرَوُنَّهَا ﴾ اللام واقعة في جواب قسم محذوف، والجملة جواب قسم محذوف لا محل لها من الإعراب، والمعنى: ثم والله لترونها عين اليقين، أي في الآخرة. وفي سر تكرار الرؤية عدة أقوال، سيأتي تفصيلها في موضعها.

﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته. ويجوز أن يراد بالرؤية: العلم والإبصار، أي الرؤية التي هي نفس اليقين، فإن الانكشاف بالرؤية والمشاهدة فوق سائر الانكشافات، فهو أحق بأن يكون عين اليقين، فعين بمعنى النفس، مثله في نحو: جاء زيد نفسه، وهو صفة مصدر مقدر، أي رؤية عين اليقين[٢].

ويقال في إضافة (عين) إلى (اليقين) مثل ما قيل في إضافة (علم) إلى (اليقين).

---

(١) الكشاف:، والتفسير الكبير: ٣٢/٧٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٧٤، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٥، والإعراب المفصل لكتاب الله المفصل: ١٢/ ٥٠١.

(٢) الكشاف: ٤/٧٩٩، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٥.

السر في تكرار الرؤية:

ذكر جمهور المفسرين في ذلك عدة أقوال دون ترجيح[١]:

الأول: أنهما رؤية واحدة، والتكرار لتأكيد الوعيد. والتعبير بـ(ثم) للدلالة على التراخي الرتبي، أي للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول. كرر الله تعالى القسم معطوفا بـ (ثم) تغليظا للتهديد وزيادة في التهويل[٢].

الثاني: أنهما رؤيتان، ولا تكرار؛ لأنهما مختلفتان، وفي ذلك وجوه:

قيل: إن الرؤية الأولى من بعيد، وعليها قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات: ٣٦]، والرؤية الثانية من قريب إذا صاروا إلى شفيرها.

وقيل: إن الرؤية الأولى عند الورود، والثانية عند الدخول فيها، ورُدَّ هذا التفسير بأنه ليس بحسن؛ لأنه تعالى قال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ والسؤال يكون قبل الدخول.

وقيل: الرؤية الأولى للوعيد، والثانية المشاهدة.

الثالث: أن يكون المراد لترون الجحيم غير مرة، فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها؛ لأنهم مخلدون في الجحيم، فكأنه قيل لهم على جهة الوعيد: لئن كنتم اليوم شاكين فيها غير مصدقين بها فسترونها رؤية دائمة متصلة، فتزول عنكم الشكوك؛ وهو كقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣، ٤] بمعنى: لو أعدت النظر فيها ما شئت لم

---

(١) يراجع مثلا: التفسير الكبير: ٧٦/٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٤/٢٠، وغرائب القرآن: ٥٥٦/٦، وروح المعاني: ٢٢٥/٣٠، وفتح القدير: ٤٨٩/٥، وغيرها.

(٢) التفسير الكبير: ٧٦/٣٢.

تجد فطورا، ولم يُرِد مرتين فقط، فكذا ههنا»[١]. قال الآلوسي: "وهو خلاف الظاهر جدا»[٢].

المختار:

ذكر جمهور المفسرين الأقوال السابقة، دون ترجيح أي منها، بينما رجح بعضهم كونهما رؤيتين مختلفتين، ورجح بعضهم كونهما رؤية واحدة.

فقد رجح ابن القيم كونهما رؤيتين مختلفتين فقال: "قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين: إطلاق الأولى وتقييد الثانية بعين اليقين، وتقدم الأولى وتراخي الثانية عنها»[٣].

ورجح الطاهر بن عاشور كونهما رؤية واحدة فقال: "والإخبار عن رؤيتهم الجحيم كناية عن الوقوع فيها، فإن الوقوع في الشيء يستلزم رؤيته فيكنى بالرؤية عن الحضور، وأكد ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ قصدا لتحقيق الوعيد بمعناه الكنائي. وقد عطف هذا التأكيد بـ (ثم) التي هي للتراخي الرتبي، وليس هنالك رؤيتان تقع إحداهما بعد الأخرى بمهلة»[٤].

والمختار: والله تعالى أعلم أنهما رؤيتان مختلفتان، و(ثم) للعطف، لما ذكره ابن القيم؛ ولأن أهل الجحيم يرونها أكثر من مرة، فهم يرونها حين تُبرَز لهم؛ قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦﴾ [النازعات: ٣٦]، ويرونها من بعيد حين تراهم هي من بعيد ويسمعون تغيظها وزفيرها؛ قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ [الفرقان: ١٢]، ثم يرونها حين المرور عليها؛ قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: ٧١]، ثم يرونها عين اليقين حين

---

(١) المصدر السابق: نفس الموضع.

(٢) روح المعاني: ٢٢٥/٣٠.

(٣) التفسير القيم: ص٥١٥، ٥١٦.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٢٢/٣٠.

يتكردسون فيها، وعليه آية الباب: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾، ومن ثم جُوِّز أن يكونا ههنا رؤيتين مختلفتين. وقد تتعدد رؤية أهل الجحيم لها فيرونها أكثر من ذلك، لأنه لا يوجد دليل على أنهم يرونها يوم القيامة رؤيتين فقط.

من وجوه البلاغة والدقائق في هذه الآيات[١]:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾

(١) تكرير الردع والإنذار في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ ﴾

(٢) حذف جواب ﴿لَوْ﴾ لما في حذفه من المبالغة في التهويل؛ ليذهب الخيال في تقديره كل مذهب، فيكون التهويل أعظم.

(٣) القسم المقدر في قوله تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ لتوكيد التهديد والوعيد.

(٤) مجيء لام القسم في قوله تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾ لزيادة توكيد التهديد والوعيد.

(٥) عطف القسم بـ (ثم) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾ للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول، وهذا على رأي بعض المفسرين.

(٦) تكرير القسم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ﴾ تغليظا في التهديد، وزيادة في الوعيد.

(٧) **في قوله تعالى: (عين اليقين) تأكيدان للرؤية:** أولهما: أنها عين اليقين، أي خالصته، وثانيهما: أنها يقين، واليقين حقيقة.

(٨) **فائدة نون التوكيد في ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾، و﴿لَتَرَوُنَّهَا﴾:** قال الرازي: "ونون التوكيد في (لترون، لترونها) تقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية، يعني: لو خليتم ورأيكم ما رأيتموها، لكنكم تُحملون على رؤيتها شئتم أم أبيتم"[٢].

****

(١) يراجع: الكشاف: ٧٩٩/٤، والتفسير الكبير: ٧٥/٣٢، ٧٦، والتحرير والتنوير: ٥٢٢/٣٠.

(٢) التفسير الكبير: ٧٦/٣٢.

قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

التفسير والبيان

اختلف المفسرون في المسئول عن النعيم، وفي هذا النعيم أي شيء هو؟، فهاتان مسألتان:

المسألة الأولى: من الذي يسأل عن النعيم؟

من خلال جمع أقوال المفسرين من هنا وهناك يظهر أن لهم في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن السؤال خاص بالكفار:

وحجته:

أولا: ما روى أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال: (يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان[1] من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أن تكون من النعيم الذي نسأل عنه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (إنما ذلك للكفار)، ثم قرأ: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا كُنَّا نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٧])[2].

ثانيا: قول الحسن: "لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار"[3].

---

(١) هو الصحابي الجليل: أبو الهيثم مالك بن التيهان ـ بفتح المثناة الفوقانية مع كسر الياء ـ بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر الأنصاري الأوسي، وهو مشهور بكنيته، شهد بدرا والمشاهد كلها، وكان أول من بايع، مات سنة عشرين أو إحدى وعشرين. [الإصابة لابن حجر: ٤٤٩/٧، ٤٥٠].

(٢) الحديث: ذكره القرطبي دون إسناد أو تخريج وقال: "ذكره القشيري أبو نصر". ولم أعثر عليه.

(٣) التفسير الكبير: ٧٧/٣٢، واللباب: ٤٨١/٢٠، وفتح القدير: ٤٨٩/٥.

ثالثا: أن ظاهر الآية يدل على ذلك، لأن الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره، فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذي ظنوه سببا لسعادتهم كان من أعظم أسباب الشقاء لهم في الآخرة.

قال الرازي عن هذا القول: "وهو الأظهر". مع أنه عاد ورجح القول الثالث[١].

والسؤال على هذا القول: سؤال توبيخ وتقريع للكافرين؛ لأنهم لم يشكروا الله تعالى على نعمه عليهم.

القول الثاني: أن السؤال خاص بمن ألهاه التكاثر عن شكر المنعم سبحانه:

وحجته[٢]:

أولا: سياق السورة الكريمة؛ حيث إن سياقها فيمن ألهاه التكاثر لا في كل إنسان.

ثانيا: القرينة الدالة على أن الذم مخصوص بمن ألهاه التكاثر عن شكر ربه.

ثالثا: النصوص الكثيرة الدالة على جواز التنعم بالنعم في حدود ما أحله الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فإنه يدل على أن أحدا لا يقدر على تحريم زينة الله، وأن التزين في حدود الشرع ممدوح. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] فإنه يدل على أن الأكل من الطيبات ممدوح إذا لم يتجاوز المشروع. وكل ذلك تنعم بالنعم مع أنه ليس بمذموم.

وهذا القول اختيار بعض المفسرين[٣].

---

(١) التفسير الكبير: ٣٢/٧٧.

(٢) ذكر هذا القول بأدلته مختصرا: البيضاوي في أنوار التنزيل: ٥/٥٢٤، والخطيب الشربيني في السراج المنير: ٤/٦٧٥، والألوسي في روح المعاني: ٣٠/٢٢٦، والقونوي في حاشيته على البيضاوي: ٢٠/ ٤٢٣، ٤٢٤، والشهاب في حاشيته على البيضاوي: ٨/ ٣٩٤، وشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي: ٤/ ٥٩٥، ٥٩٦.

(٣) اختاره: الزمخشري في الكشاف: ٤/٧٩٩، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: ٩/١٩٦، وابن القيم في التفسير القيم: ص٥١٨.

قال أبو السعود: "﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ أي: عن النعيم الذي ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه، فإن الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين، ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل، ولا يحمل نفسه مشاقها، فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد"[١].

والسؤال على هذا القول: سؤال توبيخ وتقريع لكل من ألهاه التكاثر عن شكر المنعم سبحانه.

القول الثالث: أنه عام في حق المؤمنين والكافرين:

وحجته[٢]:

أولا: الأحاديث الصحيحة الواردة في عموم السؤال للمؤمن وغيره، ومنها:

ـ ما أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تَزُولُ قَدَمُ ابن آدَمَ يوم الْقِيَامَةِ من عِنْدِ رَبِّهِ حتى يُسْأَلَ عن خَمْسٍ: عن عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ من أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ)[٣].

ـ وما أخرجه الترمذي أيضا والدارمي عن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ[٤] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١٩٦/٩.

(٢) ذكر ابن القيم هذه الأدلة متفرقة في تفسيره: ص٥١٨، ٥١٩.

(٣) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٦١٢، ح(٢٤١٦)، وقال الألباني: "حسن"، وصححه في السلسلة الصحيحة: ٢/ ٦٢٩، ح(٩٤٦). والطبراني في المعجم الكبير: ١٠/ ٨، ح(٩٧٧٢).

(٤) هو الصحابي الجليل: نضلة بن عبيد أبو برزة الأسلمي، صحابي مشهور بكنيته، أسلم قبل الفتح وغزا سبع غزوات ثم نزل البصرة وغزا خراسان ومات بها بعد سنة خمس وستين على الصحيح. [الإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ٤٣٣، وتقريب التهذيب: ص٥٦٣].

عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ)[١].

ـ وما أخرجه الترمذي أيضا والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنْ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ مِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ)[٢].

ـ وما أخرجه الترمذي أيضا ـ واللفظ له ـ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يوم الْقِيَامَةِ فيقول الله له: أَلَمْ أَجْعَلْ لك سَمْعًا، وَبَصَرًا، وَمَالًا، وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لك الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ يَوْمَكَ هذا! قال: فيقول: لَا، فيقول له: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي)[٣].

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث:

أنها تدل دلالة صريحة على أن السؤال يكون يوم القيامة للمؤمن وغيره على السواء، بدلالة التعبير بلفظي (ابن آدم) و(العبد)، فهما يشملان المؤمن وغيره.

ثانيا: الأحاديث الصحيحة التي تثبت السؤال في حق المؤمنين، وأصحها:

حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (خَرَجَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ أو لَيْلَةٍ، فإذا هو بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فقال: ما أَخْرَجَكُمَا من بُيُوتِكُمَا هذه السَّاعَةَ؟ قالا الْجُوعُ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال وأنا وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَأَخْرَجَنِي الذي

---

(١) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٦١٢، ح(٢٤١٧)، والدارمي في سننه: ١/ ١٤٤، ح(٥٣٧) وقال الترمذي: "هذا حديث صحيح".

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٤٤٨، ح(٣٣٥٨)، وقال: "هذا حديث غريب"، والحاكم في المستدرك: ٤/ ١٥٣، ح(٧٢٠٣) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٣) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٦١٩، ح(٢٤٢٨)، وقال: "هذا حديث صحيح غريب، ومعنى قوله: (اليوم أنساك): يقول اليوم أتركك في العذاب". وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب: ٤/ ٢٢٧٩، ح(٢٩٦٨).

أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا، فَقَامُوا معه، فَأَتَى رَجُلًا من الْأَنْصَارِ، فإذا هو ليس في بَيْتِهِ، فلما رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قالت: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فقال لها رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيْنَ فُلَانٌ، قالت: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لنا من الْمَاءِ، إذْ جاء الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ما أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قال: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ[1] فيه بُسْرٌ[2] وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فقال: كُلُوا من هذه، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فقال له رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إيَّاكَ وَالْحَلُوبَ، فَذَبَحَ لهم، فَأَكَلُوا من الشَّاةِ، وَمِنْ ذلك الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فلما أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النَّعِيمِ يوم الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ من بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لم تَرْجِعُوا حتى أَصَابَكُمْ هذا النَّعِيمُ)[3].

والسؤال على هذا القول: سؤال للكل عن شكر المنعم سبحانه، لكن سؤال الكفار سؤال توبيخ وتقريع، لأنهم تركوا الشكر، وسؤال المؤمنين سؤال تشريف وتكريم، لأنهم قاموا بالشكر.

المختار:

أرى والله تعالى أعلم أن القول الثالث هو الراجح؛ لقوة أدلته وسلامتها من الرد، وهو اختيار جمهور المفسرين[4].

---

(١) العَذْق بالفتح: النَّخْلة، وبالكسر: العُرْجُون بما فيه من الشَّماريخ، ويُجْمع على عِذَاقٍ. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:٣/١٩٩)

(٢) البُسْر: تمر النخل قبل أن يُرْطِبَ. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ١/ ١٢٦).

(٣) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك: ٣/ ١٦٠٩، ح(٢٠٣٨).

(٤) يراجع: المحرر الوجيز: ٥١٩/٥، والتفسير الكبير: ٧٨/٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٧/٢٠، ولباب التأويل: ٢٨٦/٧، ٢٨٧، والبحر المحيط: ٥٠٦/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٤٧/٤، ٥٤٨، والجواهر الحسان: ٤٣٩/١٠، واللباب: ٤٨٢/٢٠، وفتح القدير: ٤٨٩/٥، وروح المعاني: ٢٢٦/٣٠، والتحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠. وغيرها.

أما القول الأول: فمردود، لأن أدلته غير صحيحة، وقد فندها الإمام ابن القيم؛ حيث قال:

"وقد زعم طائفة من المفسرين أن هذا الخطاب خاص بالكفار وهم المسئولون عن النعيم، وذكر ذلك عن الحسن ومقاتل، واختار الواحدي ذلك، واحتج بحديث أبي بكر رضي الله عنه قال: (يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أن تكون من النعيم الذي نسأل عنه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (إنما ذلك للكفار)، ثم قرأ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝٣٦﴾ [سبأ: ١٧])[1].

قال الواحدي: والظاهر يشهد بهذا القول؛ لأن السورة كلها خطاب للمشركين وتهديد لهم، والمعنى أيضا يشهد بهذا القول، وهو أن الكفار لم يؤدوا حق النعيم عليهم؛ حيث أشركوا بالله وعبدوا غيره، فاستحقوا أن يسألوا عما أنعم به عليهم، توبيخا لهم، هل قاموا بالواجب فيه أم ضيعوا حق النعمة، ثم يعذبون على ترك الشكر، قال: وهذا معنى قول مقاتل، وهو قول الحسن، قال: "لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار".

قال ابن القيم: "قلت: ليس في اللفظ، ولا في السنة الصحيحة، ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار، بل ظاهر اللفظ وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بإلهاء التكاثر له، فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك، ويدل على ذلك:

قول النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءة هذه السورة: (يقول ابن آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قال: وَهَلْ لك يا ابن آدَمَ من مَالِكَ إلا ما أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ)[2]، وهو في صحيح مسلم، وقائل ذلك قد يكون مسلما، وقد يكون كافرا.

---

(١) الحديث: ذكره القرطبي دون إسناد أو تخريج وقال: "ذكره القشيري أبو نصر". ولم أعثر عليه.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: ٤/ ٢٢٧٣، ح(٢٩٥٨) عن مُطَرِّف عن أبيه قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: (ألهاكم التكاثر) قال: يقول ابن آدم مالي مالي....) الحديث.

ويدل عليه أيضا: الأحاديث التي تقدمت، وسؤال الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم وفهمهم العموم، حتى قالوا له: (وأي نعيم نسأل عنه وإنما هو الأسودان)، فلو كان الخطاب مختصا بالكفار لبين لهم ذلك، وقال: ما لكم ولها، إنما هي للكفار. فالصحابة فهموا التعميم، والأحاديث صريحة في التعميم، والذي أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم أقرهم على فهم العموم.

وأما حديث أبي بكر رضي الله عنه الذي احتج به أرباب هذا القول فحديث لا يصح، والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه، ونحن نسوقه بلفظه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: (خَرَجَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ أو لَيْلَةٍ، فإذا هو بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فقال: ما أَخْرَجَكُمَا من بُيُوتِكُمَا هذه السَّاعَةَ؟ قالا الْجُوعُ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال وأنا وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَأَخْرَجَنِي الذي أَخْرَجَكُمَا،....) وذكر الحديث المتقدم كاملا، ثم قال:

"فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار، وأيضا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيرا، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر. وخطاب القرآن عام لمن بلغه، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو متناول لمن بعدهم، وهذا معلوم بضرورة الدين، وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين، فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ نظائره، كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين، فقوله تعالى: (ألهاكم التكاثر) خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف، وهم في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا الله". أهـ[1].

وأما القول الثاني: فأرى والله تعالى أعلم أنه يندرج تحت القول الثالث ويدخل ضمنه، ولا يمنع من ذلك مانع؛ لأن سؤال من ألهاهم التكاثر مؤمنين أو غير مؤمنين داخل تحت سؤال الكل، فكل بني آدم مسئولون يوم القيامة، بنص

(١) التفسير القيم: ص٥١٨ ـ ٥٢٠.

الأحاديث الصحاح المتقدمة، فإن كان المسئول مؤمنا فسؤاله سؤال تكريم وتشريف وتنعيم، وإن كان غير مؤمن فسؤاله سؤال توبيخ وتقريع وتعذيب.

المسألة الثانية: ما هو النعيم المسئول عنه؟

ذكر الله تعالى النعيم المسئول عنه في هذه الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ مجملا، وقد وردت بعض الأحاديث والآثار في بيان هذا النعيم المجمل، وأقتصر منها على ما يفي بالغرض:

أولا: الأحاديث:

*** منها ما ذُكِر فيه أن النعيم هو الصحة، والفراغ:**

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ)[1].

*** ومنها ما ذُكِر فيه أن النعيم هو الأمن، والصحة:**

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ قال: (الأمن والصحة)[2].

*** ومنها ما ورد فيه أنه الصحة وشرب الماء البارد:**

وأخرج الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ!!)[3].

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ: ٥/ ٢٣٥٧، ح(٦٠٤٩).

(٢) الحديث: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٢، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦١٢/٨) لابن مردويه. وإسناده: ضعيف، فيه محمد بن سليمان الأصبهاني، قال ابن حجر: "صدوق يخطئ".(تقريب التهذيب: ٢/ ٨٢)

(٣) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٤٤٨، ح(٣٣٥٨)، وقال: "هذا حديث غريب". والحاكم في المستدرك: ٤/ ١٥٣، ح(٧٢٠٣) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص.

* ومنها ما ورد فيه أنه ما لا بد منه من المطعم، والمشرب، والملبس، والمسكن:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: (خَرَجَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ أو لَيْلَةٍ، فإذا هو بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فقال: ما أَخْرَجَكُمَا من بُيُوتِكُمَا هذه السَّاعَةَ؟ قالا الْجُوعُ يا رَسُولَ اللَّهِ: ... الخ[1].

وأخرج أحمد في الزهد عن عطاء بن السائب عن عامر قال: أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لحما وخبزا وشعيرا ورطبا وماء باردا فقال: (هذا وربكما من النعيم)[2].

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: لما نزلت ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قام رجل محتاج فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل علي من النعمة شيء ؟ قال: (نعم الظل والنعلان والماء البارد)[3].

وأخرج الطبري عن ثابت البناني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (النعيم المسئول عنه يوم القيامة: كسرة تقوته، وماء يرويه، وثوب يواريه)[4].

وأخرج البزار عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا فَوْقَ الإِزَارِ وَظِلّ الْحَائِطِ وَجَرّ الْمَاءِ فَضْلٌ يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ يُسْأَلُ عَنْهُ)[5].

وأخرج ابن أبي حاتم وعبد بن حميد عن عكرمة قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال الصحابة: وفي أي نعيم نحن يا رسول الله

---

(١) وقد سبق الحديث كاملاً قبل قليل.

(٢) الحديث: أخرجه أحمد في الزهد: ص٣٢. وإسناده: ضعيف، فيه عطاء بن السائب، قال ابن حجر: "صدوق" (تقريب التهذيب: ١/ ٣٩١).

(٣) الحديث: ذكره السيوطي في الدر: ٦١٩/٨، ونسبه لابن مردويه.

(٤) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٨٨/٣٠. عن ثابت البناني، وإسناده: ضعيف؛ لأنه مرسل.

(٥) الحديث: أخرجه البزار في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي: ٤/ ٢٤٧. وإسناده: ضعيف جدا، فيه الليث بن أبي سليم، قال ابن حجر: "صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فتركوه"، (تقريب التهذيب:)

صلى الله عليه وسلم ؟ وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير، فأوحى الله إلى نبيه أن قل لهم: (أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم)[١].

*** ومنها ما ورد فيه أنه طيب النفس:**

أخرج ابن ماجه وأحمد والحاكم عن معاذ بن عبد الله الجهني عن أبيه عن عمه قال: (كنا في مَجْلِسٍ فَجَاءَ النبي صلى الله عليه وسلم وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فقال له بَعْضُنَا: نَرَاكَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، فقال: أَجَلْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ أَفَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى، فقال: لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى، وَالصِّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى خَيْرٌ من الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ من النَّعِيمِ)[٢].

ومنها ما ورد فيه أنواع أخرى من النعيم مثل الحديث الآتي:

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله، عز وجل ـ قال عفان: يوم القيامة ـ: يا ابن آدم، حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تربع وترأس، فأين شكر ذلك؟)[٣].

ومنها ما ورد فيه أن النعيم ما يكون من اليسر والسعة في المستقبل:

أخرج الترمذي وأحمد وابن ماجه عن الزبير بن العوام قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال الزُّبَيْرُ: (يا رَسُولَ اللَّهِ: فَأَيُّ النَّعِيمِ نُسْأَلُ عنه وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ[٤]؟ قال: أَمَا إنه سَيَكُونُ)[٥].

---

(١) الحديث: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٠، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦١٣/٨) لعبد بن حميد، عن عكرمة، وإسناده: ضعيف، لأنه مرسل.

(٢) الحديث: أخرجه ابن ماجه في سننه: ٢/ ٧٢٤، ح(٢١٤١)، وقال الألباني: "صحيح"، وأحمد في المسند: ٥/ ٣٧٢، ح(٢٣٢٠٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده: حسن"، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٣، ح(٢١٣١)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٣) الحديث: أخرجه أحمد في المسند: ٢/ ٤٩٢، ح(١٠٣٨٣)، قال شعيب الأرناؤوط: "إسناده: صحيح على شرط مسلم".

(٤) قال القاسم بن سلام: "الأسودان التمر والماء، وإنما السواد للتمر وحده؛ كقولهم: سنة العمرين، وإنما هما أبو بكر وعمر؛ وهكذا كلام العرب إذا كان الشيء مع غيره فربما سموهما جميعا باسم أحدهما". (غريب الحديث للقاسم بن سلام: ٤/ ١٣١، وغريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ٥٠٧).

(٥) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٤٤٨، ح(٣٣٥٦)، وقال: "هذا حديث حسن"، وأحمد في المسند: ١/ ١٦٤، ح(١٤٠٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن"، وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٣٩٢، ح(٤١٥٨).

قال ابن القيم: "وقوله صلى الله عليه وسلم: (أما إنه سيكون) إما أن يكون المراد به أن النعيم سيكون ويحدث لكم، وإما أن يرجع إلى السؤال، أي إن السؤال يقع عن ذلك، وإن كان تمرا وماء، فإنه من النعيم، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وقد أكلوا معه رطبا ولحما وشربوا من الماء البارد: (وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النَّعِيمِ يوم الْقِيَامَةِ)"[1].

ووردت أحاديث أخرى تبين أن العبد يُسأل عن كل شيء إلا ما تقوم به النفس:

أخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس لابن آدَمَ حَقٌّ في سِوَى هذه الْخِصَالِ بَيْتٌ يَسْكُنُهُ وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ) [2].

---

(١) التفسير القيم: ص٥١٧، بتصرف يسير. ويراجع أيضا: شرح مشكل الآثار للطحاوي: ١/ ٤٠٧، وشرح سنن ابن ماجه للسيوطي: ١/٣٠٧.

(٢) الحديث: أخرجه الترمذي في سننه: ٤/ ٥٧١، ح(٢٣٤١)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، والحاكم في المستدرك: ٤/ ٣٤٧، ح(٧٨٦٦)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان: ٥/ ١٥٦، ح(٦١٧٩).

وإسناده: منكر، فيه علتان خفيتا على من صححه: الأولى: أن فيه حريث بن السائب، "صدوق يخطئ" (تقريب التهذيب: ١/ ١٥٦). والثانية: أن حريث بن السائب أخطأ في رفع هذا الحديث، والصواب أنه عن بعض أهل الكتاب، فهو من الإسرائيليات.

وقد صرح بهذا الدارقطني في (العلل: ٣/ ٢٩) حيث سئل عن هذا الحديث فقال: "وَهِمَ فيه حريث، والصواب: عن الحسن بن حمران عن بعض أهل الكتاب".

وصرح بهذا أيضا الإمام أحمد، حيث ذكر ابن قدامة في (المنتخب من العلل: ١٠/ ٤٢) عن حنبل قال: سألت أبا عبد الله (يعني الإمام أحمد) عن حريث بن السائب، فقال: ما كان به بأس، إلا أنه روى حديثا منكرا عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هو عن النبي صلى الله عليه وسلم، يعني هذا الحديث. [يراجع: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني: ٣/ ١٧٥، ١٧٦، ح(١٠٦٣)].

وأخرج أحمد في (الزهد) والبيهقي في (الشعب) عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثٌ لا يُحاسَبُ بِهِنَّ العَبْدُ: ظِلٌّ خُصَ يَسْتَظِلُّ بِهِ، وَكِسْرَةٌ يَشُدُّ بِها صُلْبَهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي بِهِ عَوْرَتَهُ)[١].

وأخرج أحمد والبيهقي في (الشعب) عن أبي عسيب مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلاً فَمَرَّ بِي، فَدَعَانِي إِلَيْهِ، فَخَرَجْتُ، ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِعُمَرَ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا لِبَعْضِ الأَنْصَارِ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحَائِطِ: أَطْعِمْنَا بُسْرًا، فَجَاءَ بِعِذْقٍ فَوَضَعَهُ فَأَكَلَ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرِبَ، فَقَالَ: لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ الْعِذْقَ فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ حَتَّى تَنَاثَرَ الْبُسْرُ، قِيلَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَئِنَّا لَمَسْئُولُونَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: خِرْقَةٍ كَفَّ بِهَا الرَّجُلُ عَوْرَتَهُ، أَوْ كِسْرَةٍ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ، أَوْ حَجَرٍ يَتَدَخَّلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ)[٢].

ثانيا: الآثار:

أخرج الطبري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال: "صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم"، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦][٣].

---

(١) الحديث: أخرجه أحمد في الزهد: ص١٢، والبيهقي في شعب الإيمان: ٧/ ٢٩٦، ح(١٠٣٦٨)، عن الحسن مرسلا، وإسناده: ضعيف؛ لأنه مرسل.

(٢) الحديث: أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٨١، ح(٢٠٧٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان: ٤/ ١٤٣، ح(٤٦٠١) وإسناده: ضعيف، فيه حشرج بن نباته الأسلمي، قال ابن حجر: "صدوق يهم"، [تقريب التهذيب: ص٢٢١].

(٣) الأثر: أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠/ ٢٨٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٠، والبيهقي في الشعب: ٤/ ١٤٨.

وأخرج هناد، والطبري، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في (الشعب) عن ابن مسعود في ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال: "الأمن والصحة"[1].

وأخرج البيهقي في (شعب الإيمان) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال: "النعيم: العافية"[2].

وأخرج وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال: "عن أكل خبز البر، وشرب ماء الفرات مبردا، وكان له منزل يسكنه، فذاك من النعيم الذي يسأل عنه"[3].

وقد أضاف بعض المفسرين أقوالا أخرى عن السلف، منها:

عن الحسين بن الفضل: أنه تخفيف الشرائع وتيسير القرآن[4]. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القمر: ١٧] وعن محمد بن كعب القرظي: أنه إنعام الله تعالى على الخلق بإرسال النبي صلى الله عليه وسلم محمد صلى الله عليه وسلم[5]، ففي التنزيل: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم}. وعن أبي العالية: أنه الإسلام والسنن[6].

---

(١) الأثر: أخرجه هناد في الزهد: ٢/ ٣٦٤، والطبري في جامع البيان: ٣٠/ ٢٨٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٠. والبيهقي في الشعب: ٤/ ١٤٩، ونسبه السيوطي في الدر: (٦١٢/٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٢) الأثر: أخرجه البيهقي في الشعب: ٤/ ١٤٩.

(٣) الأثر: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٠، ونسبه السيوطي في الدر: (٦١٢/٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٤) الأثر: ذكر في النكت والعيون: ٣٣٢/٦، ومعالم التنزيل: ٥٢٢/٤.

(٥) الأثر: ذكر في الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٢/٦، ومعالم التنزيل: ٥٢٢/٤.

(٦) الأثر: ذكر في معالم التنزيل: ٥٢٢/٤.

ووردت أيضا آثار أخرى تنص على أن العبد يُسأل عن كل شيء:

أخرج الطبري وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال: "إن الله سائل كل ذي نعمة فيما أنعم عليه"(١).

أخرج الطبري وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ قال: "كل شيء من لذة الدنيا"(٢).

المختـــار:

للمفسرين في الراجح من هذه الأقوال اتجاهان:

• **الأول: لجمهور المفسرين:** ويرون أن الأخذ بالعموم هو الراجح(٣). أي: أن السؤال يكون عاما في كل النعيم، سواء كان مما لا بد منه للنفس أو ليس كذلك؛ لأن كل ذلك يجب أن يكون مصروفا إلى طاعة الله تعالى لا إلى معصيته، فيكون السؤال واقعا عن الكل.

قال الرازي: ويدل عليه وجهان:

الأول: أن الألف واللام في لفظ (النعيم) يفيدان الاستغراق.

---

(١) الأثر: أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠/ ٢٨٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/ ٣٤٦٠، ونسبه السيوطي في الدر: (٦١٢/٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الأثر: أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٠/ ٢٨٩، ونسبه السيوطي في الدر: (٦١٢/٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) يراجع: النكت والعيون: ٣٣٢/٦، والمحرر الوجيز: ٥١٩/٥، والتفسير الكبير: ٧٩/٣٢، وزاد المسير: ٢٢٣/٩، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٦/٢٠، ١٧٧، ولباب التأويل: ٢٨٦/٧، والبحر المحيط: ٥٠٦/٨، والسراج المنير: ٤٢٧/٤، وغرائب القرآن: ٥٥٧/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٤٧/٤، واللباب في علوم الكتاب: ٤٨٢/٢٠، وروح المعاني: ٢٢٧/٣٠، وفتح القدير: ٤٨٩/٥، ومحاسن التأويل: ٦٢٤٧/١٧، والتحرير والتنوير: ٥٢٥/٣٠. وغيرها..

الثاني: أنه ليس صرف اللفظ إلى بعض النعم أولى من صرفه إلى الباقي، لاسيما وقد دل الدليل على أن المطلوب من منافع هذه الدنيا اشتغال العبد بعبودية الله تعالى[١].

توجيه الاختلاف في النعيم الوارد في الأحاديث والآثار:

وأما اختلاف النعيم الوارد في هذه الأحاديث والآثار، فأرى والله أعلم أنه من باب اختلاف التنوع لا من باب اختلاف التضاد. أو أنه ـ كما ذهب إليه الآلوسي ـ من باب التمثيل ببعض أفراد خصت بالذكر لأمر اقتضاه الحال.

قال الآلوسي في تعليقه على حديث الإمام مسلم عن أبي عسيب السابق:

"وليس المراد في هذا الخبر حصر النعيم مطلقا فيما ذكر، بل حصر النعيم بالنسبة إلى ذلك الوقت الذي كانوا فيه جياعا، وكذا فيما يصح من الأخبار التي فيها الاقتصار على شيء أو شيئين أو أكثر، فكل ذلك من باب التمثيل ببعض أفراد خصت بالذكر لأمر اقتضاه الحال، ويؤيد ذلك تعبيره عليه الصلاة والسلام بـ (من) التبعيضية في غير رواية عند ذكر شيء من ذلك: كقوله صلى الله عليه وسلم: (وَطِيبُ النَّفْسِ من النَّعِيمِ) وقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنْ النَّعِيمِ...)"[٢].

* **والثاني: لبعض المفسرين**[٣]: ويرون أن العباد لا يسألون إلا عن الزائد على ما لا بد منه مما يضطر الناس إليه:

قال الطحاوي: "وجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عند ذلك: (أما إنه سيكون) أي: سيكون لكم عيش سوى الأسودين فتسألون عنه، فعقلنا بذلك أن

---

(١) التفسير الكبير: ٣٢/٧٩، وغرائب القرآن: ٦/٥٥٧، ولباب التأويل: ٧/٢٨٦، وروح المعاني: ٣٠/٢٢٧، واللباب: ٢٠/٤٨٢.

(٢) روح المعاني: ٣٠/٢٢٧، بتصرف وزيادة.

(٣) ومنهم: الطحاوي في شرح مشكل الآثار: ١/ ٤٠٧، والزمخشري في الكشاف: ٤/٧٩٩، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: ٩/١٩٦.

الذي يسألون عنه، هو الفضل عن الأسودين مما يتجاوز ما تقوم أنفسهم به، وأنهم غير مسئولين عما لا تقوم أنفسهم إلا به. ووجدنا ما قد دل على ذلك مرويا عنه عليه الصلاة والسلام في غير هذا الحديث... وساق حديث مسلم عن أبي عسيب الذي سبق ذكره"[١].

وأشار إليه الزمخشري فقال: "فإن قلت: ما النعيم الذي يسأل عنه الإنسان ويعاتب عليه؟ فما من أحد إلا وله نعيم؟ قلت: هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات، ولم يعش إلا ليأكل الطيبب ويلبس اللين، ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل، ولا يحمل نفسه مشاقهما؛ فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده، وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل، وكان ناهضا بالشكر: فهو من ذاك بمعزل"[٢].

وأرى والله تعالى أعلم: أن رأي الجمهور هو الأولى بالقبول لقوة حجته.

ويمكن أن يجاب عن استدلال الطحاوي بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أما إنه سيكون) بأنه لا يحتمل فقط أن الذي يسألون عنه ما يتجاوز الأسودين، وإنما يحتمل أيضا أن يعود الضمير إلى السؤال نفسه، فيعني أن السؤال سيقع عن ذلك وإن كان تمرا وماء، فإنه من النعيم، كما سبق بيانه.

ويجاب عن استدلاله بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النَّعِيمِ يوم الْقِيَامَةِ) بأنه ليس حجة له على أن السؤال لا يكون إلا عن الفضل عن الأسودين، وإنما هو حجة على أن السؤال يكون عن كل شيء، بدليل أنهم أكلوا تمرا ولحما وخبزا وشربوا ماء، وأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا من النعيم الذي يسألون عنه.

---

(١) شرح مشكل الآثار: ١/ ٤٠٧.

(٢) الكشاف: ٤/٧٩٩.

وأما الأحاديث السابقة التي وردت في أن السؤال يكون عن كل شيء إلا ما تقوم به النفس، فكلها أحاديث ضعاف، لا تقوم بها حجة، كما هو مبين في الحاشية.

تنبيه: تعرض الإمام الرازي ومن تبعه[1] لذكر مسألة أخرى هي: أين يكون السؤال يوم القيامة؟ وذكر في ذلك قولين:

الأول: أن هذا السؤال إنما يكون في موقف الحساب. فإن قيل: هذا لا يستقيم، لأنه تعالى ذكر هذا السؤال متأخرا عن رؤية الجحيم، وموقف السؤال متقدم على مشاهدة جهنم؟

قلنا: المراد بـ(ثم) ترتيب الأخبار لا ترتيب الأحداث، أي ثم أخبركم أنكم تسألون يوم القيامة.

القول الثاني: أن هذا السؤال إنما يكون في جهنم. وذلك أنهم إذا دخلوا النار سئلوا عن النعيم توبيخا لهم، كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ [الملك: ٨] ولا شك أن مجيء الرسول نعمة من الله تعالى، وقد سئلوا عنه بعد دخولهم النار، وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢﴾ [المدثر: ٤٢].

أو يقال: إنهم إذا صاروا في الجحيم وشاهدوها، يقال لهم: إنما حل بكم هذا العذاب لأنكم في دار الدنيا اشتغلتم بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار، ولو صرفتم عمركم إلى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة الفائزين بالدرجات، فيكون ذلك من الملائكة سؤالا عن نعيمهم في الدنيا.

---

(١) التفسير الكبير: ٣٢/٧٩، وغرائب القرآن: ٦/٥٥٧، والسراج المنير: ٤/٦٧٥، واللباب: ٢٠/٤٨٢.

وهذا كلام غير مقبول لأمرين:

الأول: أن المتفق عليه والمعلوم من سياق السورة الكريمة أن هذا السؤال يكون يوم القيامة، أما أين ومتى يكون هذا السؤال فلم يرد في ذلك شيء، وعلم ذلك عند الله تعالى وحده، ولذا لم يتعرض جل المفسرين للخوض في هذه المسألة.

والثاني: أن مبنى هذين القولين على أن السؤال خاص بالكفار، وهو قول مرجوح، إذ الراجح أن السؤال يكون عاما للمؤمنين والكافرين، وعن جميع النعم، ويكون سؤال المؤمنين سؤال تشريف وتكريم، وسؤال الكافرين سؤال توبيخ وتقريع. والله تعالى أعلم.

******

الخـــــــاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وخاتم المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعـــد...

فقد تبين لي من خلال دراسة هذه السورة الكريمة دراسة تحليلية العديد من النتائج، ومن أهمها والله تعالى أعلم ما يأتي:

أولاً: أهمية الدراسة التحليلية لسور القرآن الكريم حتى يتسنى لقارئ القرآن الكريم فهم كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

ثانياً: من خلال دراسة هذه السورة الكريمة تبين لنا جواز زيارة المقابر للعظة والاعتبار، ولا خلاف بين الفقهاء من أن زيارة القبور مندوبة للرجال. واختلف في حكم زيارة النساء للقبور.

ثالثاً: من خلال دراسة هذه السورة الكريمة أيضاً يظهر لنا التوجيهات التربوية التي تحث المسلم على طاعة الله تعالى، والاستعداد للقائه وتحذره من الاشتغال بغير طاعته سبحانه وتعالى قبل أن ينقضي الأجل فجأة، ويندم المرء ساعة لا ينفع الندم.

التوصيات:

١- من خلال معايشة هذه السورة الكريمة أوصي بعمل دراسة موضوعية حول التكاثر في ضوء القرآن الكريم.

٢- أوصي نفسي والمسلمين عامة وطلاب العلم خاصة بالاعتناء بكتاب الله تعالى تلاوة، وسماعا، وحفظا، وعملا، وأن نتخلق بأخلاقه، ونتأدب بآدابه، ونجعله قائدا ودستورا لنا في هذه الحياة.

وبعد فهذا ما وفقني الله تعالى إليه، والله تعالى أسأل أن ينفعني بهذا العمل، وأن ينفع به كل من يقرؤه، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم. والحمد لله في الأولى والآخرة، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

******

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم تبارك الذي نزله

ثانيا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط/ دار الفكر، بيروت، ط/١ (١٤١٦ هـ -١٩٩٦)

٢- أحكام القرآن- لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، مراجعة وتعليق: محمد عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت. ط/١ (١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م)

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- للإمام محمد بن محمد ابن مصطفى العمادي المعروف بأبي السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي- بيروت - بدون تاريخ.

٤- أسباب النزول - للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ط/ مكتبة الدعوة، القاهرة، بدون تاريخ.

٥- إعراب القرآن العظيم - لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق: د. موسى علي موسى مسعود، ط/١، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م).

٦- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل - للأستاذ: بهجت عبد الواحد صالح، ط/ دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧- إعراب القرآن وبيانه - للأستاذ محي الدين الدرويش، ط/دار ابن كثير، بيروت، لبنان.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - لناصر الدين بن أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشّا، ط/ دار الفكر، بيروت، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م).

٩- بحر العلوم- للإمام أبى الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، ط/ دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

١٠- البحر المحيط في التفسير للإمام محمد بن يوسف الأندلسي الشهير بابي حيان، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى (١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م)

١١- البرهان في علوم القرآن- للإمام بدر الدين الزركشى، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط/ دار المعرفة، بيروت (١٣٩١هـ).

١٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق الأستاذ / محمد علي النجار. طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤١٦ هـ١٩٩٦م).

١٣- البيان في عد آي القرآن – للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني

ط/١، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).

١٤- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء العكبري، تحقيق/ علي محمد البجاوى، ط إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

١٥- التحرير والتنوير- للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون تاريخ.

١٦- تفسير الجلالين- للإمامين محمد بن أحمد المحلى، وعبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطي، ط/ مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة (١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م)

١٧- تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير – للإمام محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري، خرج أحاديثه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٨- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل للإمام محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م

١٩- تفسير القرآن العظيم - لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ط/ المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب، بدون تاريخ.

٢٠- تفسير القرآن- لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى.

٢١- تفسير القرآن- للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط/ مكتبة الرشد، الرياض، ط/١ (١٤١٠ هـ).

٢٢- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

٢٣- التفسير القيم - للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الحنبلي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ: محمد حامد الفقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٢٤- تناسق الدرر في تناسب الدرر - للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٥- التيسير في القراءات السبع - للإمام أبي عمرو الداني، تحقيق: أوتو تريزل، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- للإمام محمد بن جرير الطبري، ط/ دار الفكر، بيروت، (١٤٠٥هـ).

٢٧- الجامع لأحكام القرآن- للإمام محمد بن أحمد بن أبى بكر القرطبى، ط/ دار الشعب، القاهرة.

٢٨- جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م.
٢٩- الجدول في إعراب القرآن الكريم - تأليف: صافي محمود بن عبد الرحيم، ط/٣ ، دار الرشيد، دمشق، وبيروت (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م).
٣٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن "المشهور بتفسير الثعالبي"- للإمام عبد الرحمن ابن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.
٣١- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ.
٣٢- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي - للإمام عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ضبطه وخرج أحاديثه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
٣٣- حاشية زاده على تفسير البيضاوي - لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القهوجي الحنفي المعروف بشيخ زاده، مكتبة الحقيقة - تركيا، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٣٤- الحجة في القراءات السبع - للإمام الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط/٤، دار الشروق، بيروت، (١٤٠١هـ).
٣٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د: عادل عبد الموجود وآخرين، ط/ دار الكتب العلمية بيروت - ط/١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م).

٣٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور- للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، طبعة دار الفكر، بيروت (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م).
٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.
٣٨- زاد المسير في علم التفسير- للإمام عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى، ط/ المكتب الإسلامي - بيروت - ط/٣ (١٤٠٤ هـ).
٣٩- سعادة الدارين في بيان وعد آي معجز الثقلين - للشيخ خلف الحسيني الشهير بالحداد، ط/١، مطبعة المعاهد، الجمالية، مصر، ١٣٤٣هـ.
٤٠- طبقات المفسرين- للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط/ مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١ (١٣٩٦هـ).
٤١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/ دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.
٤٢- في ظلال القرآن الكريم- للأستاذ الشيخ سيد قطب، ط/ دار الشروق، القاهرة - بيروت. الطبعة الشرعية السابعة والعشرون (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
٤٣- كتاب المصاحف - للأمام أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، المعروف بابن أبي داود، تحقيق: د. محب الدين واعظ، ط/٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).
٤٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرازق المهدي، طبعة دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.

٤٥- الكشف والبيان- للإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م).

٤٦- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، طبعة دار الفكر - بيروت (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

٤٧- اللباب في علوم الكتاب- لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٤٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي محمد، ط/ دار الكتب العلمية، لبنان، ط/١ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م).

٤٩- مدارك التنزيل وحقائق التأويل " تفسير النسفي "- للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، بدون بيانات.

٥٠- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور - للحافظ برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: د. عبد السميع حسنين، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م).

٥١- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق/ د. صالح الضامن، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى (١٤١٥ هـ).

٥٢- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير- للإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ (١٤٢١ هـ)

٥٣- المفردات في غريب القرآن- للإمام الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط/ دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ.

٥٤- مناهل العرفان في علوم القرآن - للعلامة محمد عبد العظيم الزرقاني، ط/١، دار الفكر، لبنان، (١٤١٦هـ، ١٩٩٦م).

٥٥- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم- لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ (١٤٠٦ هـ).

٥٦- الناسخ والمنسوخ للإمام هبة الله بن سلامة بن نصر المقري، تحقيق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، ط/ المكتب الإسلامي - بيروت - ط/١ (١٤٠٤ هـ).

- النبأ العظيم للدكتور: محمد عبد الله دراز، ط/ دار الثقافة، الدوحة، قطر، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

٥٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م

٥٨- النكت والعيون - للإمام / أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، مراجعة وتعليق/ السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ.

٥٩- نواسخ القرآن - للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٥هـ).

ثالثا: كتب الحديث وعلومه:

٦٠- تأويل مختلف الحديث - للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، ط/ دار الجيل، بيروت، (١٣٩٣هـ، ١٩٧٢م).

٦١- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري - لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط/ دار ابن خزيمة، الرياض، ط/١، (١٤١٤ هـ)

٦٢- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة - لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الغماري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ

٦٣- الجامع الصحيح "سنن الترمذي"- للإمام محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٦٤- الزهد - للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط/٢، دار الريان للتراث، القاهرة، (١٤٠٨هـ).

٦٥- الزهد - للإمام هناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط/١، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت (١٤٠٦هـ).

٦٦- سنن ابن ماجه- للإمام محمد بن يزيد أبي عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٧- سنن أبي داود- للإمام سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ دار الفكر، بدون تاريخ.

٦٨- سنن البيهقي الكبرى- للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط/ مكتبة دار الباز، مكة المكرمة (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م).

٦٩- سنن البيهقي الصغرى - للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط/ ١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، (١٤١٠هـ، ١٩٨٩م).

٧٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف - الرياض، بدون تاريخ.

٧١- سلسلة الأحاديث الضعيفة - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف - الرياض، بدون تاريخ.

- شرح سنن ابن ماجه - للحافظ السيوطي وآخرين، ط/ قديمي كتب خانة - كراتشي، الهند، بدون تاريخ.

٧٢- شرح مشكل الآثار - للإمام أبي جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م).

٧٣- شرح معاني الآثار - للإمام أبي جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٣٩٩هـ).

٧٤- شعب الإيمان - للحافظ أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٠هـ)

٧٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان- للإمام محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م).

٧٦- صحيح البخاري- للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط/ دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/٣ (١٤٠٧هـ -١٩٨٧م)

٧٧- صحيح مسلم- للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.

٧٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - للإمام بدر الدين العيني، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ.

٧٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/ دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٨٠- فتح المغيث شرح ألفية الحديث - للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٣هـ).

٨١- الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي - للحافظ عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى، ط/ دار العاصمة - الرياض، بدون تاريخ.

٨٢- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/ مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.

٨٣- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

٨٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس- للإمام إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٤ (١٤٠٥ هـ).

٨٥- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - للحافظ جلال الدين السيوطي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٨٦- المستدرك على الصحيحين- للإمام محمد بن عبدالله أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ (١٤١١ هـ - ١٩٩٠م).

٨٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل- للإمام أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، ط/ مؤسسة قرطبة، مصر، بدون تاريخ.

٨٨- مسند أبي يعلي - للحافظ أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط/١، دار المأمون للتراث، دمشق، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

٨٩- مسند البزار - للحافظ أبي بكر البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط/١، مؤسسة علوم القرآن، بيروت (١٤٠٩هـ).

٩٠- مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، وزميله، ط/١، مكتبة السنة، القاهرة، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م).

٩١- المعجم الأوسط- للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط/ دار الحرمين، القاهرة (١٤١٥ هـ).

٩٢- المعجم الصغير (الروض الداني) - للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: محمد شكور، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

٩٣- المنار المنيف في الصحيح والضعيف - للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الحنبلي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط/٢، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، سوريا. (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م).

٩٤- الموضوعات - للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي،، تحقيق: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م.

٩٥- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار - للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط/ دار ابن كثير، دمشق. بدون تاريخ.

٩٦- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول - للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الحنبلي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: حسن السماعي سويدان ط/١، دار القادري، بيروت، (١٤١١ هـ - ١٩٩٠م).

رابعا- كتب التراجم والرجال:

٩٧- الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: على محمد البجاوي، ط/١، دار الجيل، بيروت، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م).

٩٨- الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين": تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٥ (١٩٨٠م).

٩٩- تذكرة الحفاظ - للحافظ شمس الدين الذهبي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠٠- تقريب التهذيب - للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ط/١، دار الرشيد، سوريا، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).

١٠١- تهذيب التهذيب - للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط/١، دار الفكر، بيروت، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

١٠٢- الديباج المذهب - لابن فرحون المالكي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١٠٣- سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، التاسعة (١٤١٣هـ).

١٠٤- الضعفاء – لأبي جعفر العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط/١، دار المكتبة العلمية، بيروت، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).
١٠٥- الضعفاء والمتروكين- للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق:عبد الله القاضي،ط/دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١(١٤٠٦هـ).
١٠٦- طبقات المفسرين – للحافظ السيوطي، تحقيق: على محمد عمر، ط/١، مكتبة وهبة، القاهرة، (١٣٩٦هـ).
١٠٧- العلل الواردة في الأحاديث النبوية – للحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط/١، دار طيبة، الرياض، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).
١٠٨- الكامل في ضعفاء الرجال- للإمام عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبي أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط/٣ (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م).
١٠٩- لسان الميزان- للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند – ط/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ط/٣ (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).
١١٠- المجروحين- للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط/ دار الوعي، حلب، بدون تاريخ.
١١١- معجم المؤلفين – تأليف عمر رضا كحالة، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
١١٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال- للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ (١٩٩٥م).

خامسا: كتب الفقه وأصوله، والفتاوى، والسلوك:

١١٣- حاشية رد المحتار على الدر المختار – للإمام ابن عابدين، ط/ دار الفكر، بيروت، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).

١١٤- الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع – للإمام منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

١١٥- الفوائد – للإمام ابن القيم الجوزي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م).

١١٦- مجموع الفتاوى – للإمام ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، ط/ مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ.

١١٧- مدارج السالكين – للإمام ابن القيم الجوزي، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م).

١١٨- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى – للشيخ مصطفى السيوطي الرحيباني، ط/ المكتب الإسلامي، دمشق، (١٩٦١م).

١١٩- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل – للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط/١، دار الفكر – بيروت (١٤٠٥هـ).

١٢٠- الموافقات – للإمام الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، دار ابن عفان، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

سادسا: كتب اللغة والمعاجم والأدب:

١٢٠- التعريفات – للإمام علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٠٥هـ).

١٢١- ديوان جرير، تحقيق، د. نعمان محمد أمين، ط/٣، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

١٢٢- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، ط دار صادر، بيروت، الأولى، ٢٠٠٠م.

١٢٣- شرح المعلقات السبع - للحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، ط/١، دار احياء التراث العربي، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

١٢٤- الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، ط دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

١٢٥-غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٣٩٦هـ).

١٢٦- لسان العرب- للإمام محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط/ دار صادر، بيروت، ط/١، بدون تاريخ.

١٢٧- النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، وزميله، ط/ المكتبة العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

****

فهـرس الموضـوعات

الموضـوع	رقم الصفحة
المقدمة:	٢
المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة.	٦
أولاً: أسماء السورة الكريمة.	٧
ثانيا: عدد آي السورة وكلماتها وحروفها.	١٠
ثالثاً: الترتيب النزولي والمصحفي للسورة الكريمة.	١٠
رابعاً: زمان نزول السورة الكريمة.	١١
خامساً: المحكم والناسخ والمنسوخ في السورة.	١٧
سادساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها وبين أولها وآخرها.	١٧
سابعاً: ما ورد في فضلها.	٢٠
ثامناً: مقاصد السورة الكريمة والوحدة الموضوعية فيها.	٢٦
المبحث الثاني: التفسير التحليلي للسورة الكريمة	٢٩
تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾	٣٠
تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾	٤٨
تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾	٥٣
تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾	٦٤
الخاتمة:	٨٢
فهرس المصادر والمراجع:	٨٣
فهرس الموضوعات.	٩٨